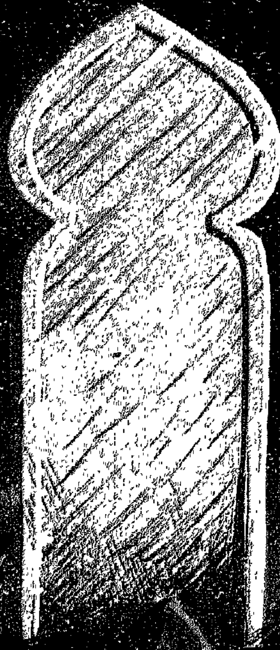
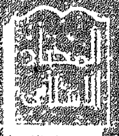
مصطفى اللمعي

القبر

إما روضة من رياض الجنة
أو حفرة من حفر النار



اهداءات ٢٠٠٢

مصطفى اللمعى

القبر

إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار



للنشر والتوزيع والتصدير
١٦ شارع كامل صدقى بالفجالة
القاهرة ت ٩١١٣٧١

بسم الله الرحمن الرحیم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الهاكم التكاثر ، حتى زرتم المقابـــر ،
كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون ،
كلا لو تعلمون علم اليقيـــن ، لترون
الجحيـــم ، ثم لترونهـــا ، عيـــن اليقين ،
ثم لتسئلن يومئـــذ عن النعيـــم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. به نستعين والصلاة والسلام على إمام الهدى سيد الأولين والأخرين .. المبعوث رحمة للعالمين .. سيدنا وحبيبنا وعظيمنا محمدا عبد الله ورسوله وعلى آله وصحبه ومن تبعه واهتدى بهديه إلى يوم الدين .

إن الرحلة إلى القبر وما فيه .. هى القضية الإيمانية الثانية بعد الإيمان بوجود الله ووحدانيته ، والتى إذا اكتملت صورتها فى عقل الإنسان المؤمن .. ارتفعت به عن المعصية ... فيسمو إلى مراتب العبودية لله سبحانه وتعالى :

والرحلة إلى القبر «تبدأ بالموت .. الذى هو النهاية الحتمية لكل إنسان بل لكل حى فى هذه الحياة الدنيا ، قال تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ وما يلاقيه الإنسان فى سكرات الموت .. ثم السفر إلى القبر .. وما فيه من سؤال وعذاب ونعيم وحتى يوم البعث والنشور يوم يقوم الناس لرب العالمين .

قال تعالى : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ .

إن هذه الرحلة كجزىء من رحلة الآخرة .. يجب على كل مسلم أن يعلمها علما يقينيا، وأن يتعرف على مراحلها ، فهى بحق ميزان الأعمال فى الدنيا ، واجتياز مراحلها وتحمل حلوها ومرها ، وهى أيضا ترسم خطا من خطوط المنهج الربانى الذى ارتضاه الحق سبحانه وتعالى لعباده .

فمن الواجب على المسلم بل من المفروض عليه أن يؤمن أنه مسافر إلى الله سبحانه وتعالى .. وما حالنا فى هذه الحياة الدنيا إلا كحال المسافر

المنتظر للقطار ، وما هذه الدنيا إلا محطة انتقال لذلك المسافر .. وداخل هذه المحطة أشياء كثيرة تعوق المسافر - إنها لا تعوقه عن السفر .. ولكنها تعوقه عن التزود بالزاد الذى يكفيه فى رحلته . قال تعالى : ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ .

فإن الله سبحانه وتعالى ما خلق الخلق إلا ليعبدوه ، قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وما من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ وهذه هى الحكمة من خلق الخلق وهذه هى رسالتهم فى الحياة الدنيا والتى سوف يطالبون بها فى الآخرة ويحاسبون عليها .

فنحن ما خلقنا فى هذه الدنيا إلا لعبادة الله سبحانه وتعالى وتسبيحه وليس المأكل والمشرب والتكاثر فى الأموال والأولاد ، فكل هذه الأمور ما هى إلا زينة الحياة الدنيا .. وإذا كانت هذه الأشياء هى الزينة .. فأين الجوهر الذى تغطيه هذه الزينة ؟

نقول أن ذلك الجوهر هو : عبادة الله سبحانه وتعالى ، وهذه الزينة خلقها لنا الحق سبحانه وتعالى بل أن الحق تبارك وتعالى خلقها وسخرها لنا فى هذه الحياة الدنيا فقال تعالى : ﴿ **هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا** ﴾ وقال تعالى وقوله الحق : ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات والأرض** ﴾ .

الدنيا وما فيها من زينة خلقت وسخرت لنا ، ونحن خلقنا لعبادة الله سبحانه وتعالى ، ولكن ما خلق لنا يشغلنا عما خلقنا له ، فزينة الدنيا من مال وبنون ، تشغلنا عن عبادة الله سبحانه وتعالى .. وهذا هو الداء الذى يقذف الناس فى غيابة النار منذ خلق الله الخلق وحتى تقوم الساعة .

والداء يكمن أولا : فى الفرح بالدنيا والاغترار بها والحرص عليها إذا تزينت فتشغلنا بطلب المزيد منها .. فننسى ما بعدها ولا نعمل له وفى ذلك الخسران المبين .

ويكمن ثانيا: فى الحزن عليها .. إذا تجردت من زينتها .. فيشغلنا التحسر على مافات منها .. فننسى ما هو آت لا ريب فيه .. وفى ذلك الخسران المبين .

ومن هنا نعلم أن زينة الدنيا هى رأس الفساد .. وهى المعوقات التى تلهى المسافر عن التزود بالزاد .. وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ فهما الفتنة التى تشغل الناس عن الذكر .. فى كلتا الحالتين .. إذا أقبلوا .. وإذا أدبروا .. فرحا بهما وحزنا عليهما وجزعا لفواتهما .. ولذلك ترى الحق سبحانه وتعالى يحذر الذين آمنوا من هذا الموقف بالذات فيقول : ﴿ **يأأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون**) وقال تعالى : ﴿ **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر** ﴾ .. فإذا عرفنا الداء فأين الدواء ؟

الدواء على قسمين : هما : الإيمان والعمل الصالح .. فأما الإيمان فعلى شقين : الأول : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .. هذه أصول الإيمان كما ذكرها سيدنا رسول الله ﷺ .

أما الثانى : فهو الصبر : فالصبر ملاك الإيمان .. وزينة الإنسان .. ومفتاح الطريق إلى الله سبحانه وتعالى .. وإليه تسكن النفوس الخاشعة .. وبه تطمئن القلوب العامرة بالإيمان .. وفى ساحته تقر وتستريح الأرواح الطاهرة الزكية .

ولقد ذكره الحق سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم فى أكثر من سبعين موضعا وقال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**) .

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **الصبر نصف الإيمان** » .. وذلك لأن الصبر هو العلاج الوحيد لزينة الدنيا .. وأنظر معى إذا تزينت الدنيا للإنسان .. بزينتها ومتعها .. وبهجتها .. التى تخلب الألباب .. وتسحر النفوس .. ألم تر إلى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة**

والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ .

فإذا أقبلت الدنيا على الإنسان بتلك الزينة .. فمن الطبيعى أن يفرح بها بقدر إقبالها عليه .. فكلما زاد أقبالها عليه .. زاد فرحه بها وانشغاله بها وهكذا حتى ينسى الذكر .

وللصبر هنا دور .. فإذا تجملت بالصبر فلن تفرح ذلك الفرح الشديد الذى ينسيك الذكر ولن تشغلك متعها عن الذكر ، الذكر لصاحب الفضل .

وهنا ينقلب فرحك بها إلى شكر لله سبحانه وتعالى وحمد على نعمته .. فتكون ذلك الغنى الشاكر .. الذى يقول فيه الحق تبارك وتعالى فى الحديث القدسى « أحب الغنى وحبى للغنى الشاكر أشد » .

وإذا أدبرت الدنيا .. وتجردت من زينتها .. رغم الحب العظيم الذى يكنه الإنسان لها .. وحرصه عليها .. فيحزن عليها .. بقدر تجردها .. فكلما زاد تجردها .. كلما زاد حزنه عليها .. والتحسر على ما فات منها .. حتى ينسى الذكر .

وهنا يأتى دور الإيمان الحق .. فإن كان الإنسان مؤمنا حقا فإنه يؤمن تماما أن الله سبحانه وتعالى .. مالك الملك .. يؤتى الملك من يشاء .. وينزع الملك ممن يشاء ... ويعز من يشاء .. ويذل من يشاء .. فهو الذى يعطى ويمنع .. وهو الذى يضر وينفع .. فإذا آمن بذلك كله فإنه لن يحزن عليها ذلك الحزن الذى ينسيه الذكر .. بل سوف يلجأ إليه .. يلجأ إلى حماه .. ويلوذ بجوراه .. ويضرع إليه ... ويسكن إلى رحمته .

ثم يأتى دور الصبر فإذا تجمل بالصبر .. وعلم أن الله مع الصابرين .. انقلب حزنه عليها وتحسره على ما فات منها ... إلى إخبات واحتساب .. فيكون ذلك الفقير الصابر الذى هو من أحباء الله سبحانه وتعالى .. حيث يقول تعالى فى الحديث القدسى : « **أحب الفقير وحبى للفقير الصابر أشد** » .

وترى سيدنا رسول الله ﷺ يقول : « **عجبا لأمر المؤمن : أن أمره كله خير ، وليس ذلك إلا للمؤمن ، أن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له** » .

أما القسم الثانى : فهو العمل الصالح .. والعمل الصالح ما هو إلا مظهر وعنوان القسم الأول .. فإذا كان الإيمان والصبر .. أمر باطن لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى فإن العمل الصالح هو مظهر وعنوان هذا الأمر الباطن .. وهو مرتبط به ومترتب عليه .

فإذا رسخ الإيمان فى القلب وتجملنا بالصبر كان هناك عمل صالح .. وإذا قل الإيمان .. كان العمل الصالح بقدر ما تبقى من الإيمان .

فإذا علمنا الداء وقدمنا له الدواء .. وعلمنا أننا مسافرون إلى الله سبحانه وتعالى فى تلك الرحلة الإجبارية والتى هى من مشيئة الله تعالى النافذة فى خلقه ...

كان لزاما علينا أن نتتبع خطوات هذه الرحلة على بساط القرآن الكريم وحديث سيدنا رسول الله ﷺ .. لنرى قدرا مما فيها وما سوف يلاقيه الإنسان فى جنباتها .. لأنها المحور الأساسى الذى تدور عليه الأعمال فى هذه الحياة الدنيا .

فإذا اكتملت صورة هذه الرحلة الغيبية .. كما رسمها الحق سبحانه وتعالى وكما بينها سيدنا رسول الله ﷺ .. نقول إذا اكتملت هذه الصورة فى عقل أحدنا .. وهذا لا يتأتى إلا بالإيمان الصادق .. وهنا يكون قد اجتمع له : الإيمان والعلم .. أقول إن هذا الذى أجتمع له الأمرين معا .. لا يجرؤ على اقتراف المعصية أبدا .. لأنه يعلم ما سوف يلاقيه عليها من عذاب .. وإن ذلت به القدم يوما .. فإنه يكون أسرع فى العودة إلى الله سبحانه وتعالى .. بالتوبة النصوح .. والمبادرة بالاستغفار .. فيكون ممن قال فيهم الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ .

وتراه سباقا إلى الخيرات .. لأنه يعلم أيضا ما سوف يلقاه من أجر عليها ..

فكلما اكتملت صورة هذه الرحلة فى عقل الإنسان المؤمن ورسخ بها الإيمان فى قلبه كلما ابتعد عن المعصية وأسرع إلى فعل الخيرات وكان من عباد الله .. وكلما تناقصت صورة هذه الرحلة فى عقل الإنسان .. استبعد صورة الجزاء والمحاسبة والعقاب على ما قدمت يداه .. فتراه مستهترا بكل القيم بل وبنفسه أيضا . فكلما اضمحلت هذه الصورة فى عقله كلما تجرأ على ارتكاب المعاصى .. لأنه جاهل بحقيقة الحكمة من الخلق فى هذه الحياة الدنيا .. ولا يجتمع الأمرين لأحد قط .

فكل الناس مسافرون إلى الله سبحانه وتعالى .. ولكن مع الفارق : منهم من تحمله أعماله التى أعدها فى الحياة الدنيا عزيزا مكرما ...

ومنهم من تتنازعه أعماله فتحمله تارة ويحملها تارة أخرى .. ومنهم من يحمل أعماله الثقال .. ليس ذلك فقط بل وقدرا من أعمال الأخرين .. يود لو أن بينه وبينها أمدا بعيدا .

فكل نفس ذائقة الموت .. يطلبهم الموت حثيثا فمن وافته المنية لا يخطئه للموت

فالموت كأس به سم ناقع ... فيه الردى وكل حى شاربه
والقبر أضيق البيوت مظلم ... ونزل كل ابن انثى ساكنه
والنار ورد فيه الهلاك ... وكل الناس يوم البعث وارده
فقدم لذاك السم ترياقا ... يهون عليك ياذا العقل سكرته
وأشعل لذاك الظلام مصباحا ... يؤنسك ويرفع عنك وحشته
وأصنع لذاك الورد جسرا ... فتنجو عليه فلا ترده

لذا كان لزاما علينا أن نسافر على بساط القرآن الكريم وحديث سيدنا رسول الله ﷺ لنلقى نظرة على ما فيه من الموت وما يعانيه الإنسان فى سكراته .. ثم لندخل معا إلى القبر لننظر ما فيه وما يلاقيه الإنسان فى جنباته .. لعلها تكون عبرة لنا ، ونبراسا يهدينا فى الطريق إلى الله سبحانه وتعالى .

وعلى الله قصد السبيل .

الباب الأول

الفصل الأول : ذكر الموت

الفصل الثانى : سكرات الموت

الفصل الأول
ذكر المـــوت

مقدمـــة :

كلنا مسافرون إلى الله سبحانه وتعالى .. وما حالنا فى هذه الدنيا .. إلا كحال المسافر المنتظر للقطار .. ولكن هناك أشياء تعوق المسافر فى داخل هذه المحطة .. أنها لا تعوقه عن السفر ولكنها تعوقه عن التزود بالزاد الذى يكفيه فى رحلته .. وتشغله عن المهمة التى يتأهب لها .

قال تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾[1] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾[2] .

والآيات القرآنية التى ذكرت الموت كمشيئة لله سبحانه وتعالى فى خلقه كثيرة ولسنا فى سبيل احصائها ويكفينا أن نسمع إلى قول الحق سبحانه وتعالى .. ﴿ **قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم** ﴾[3] .

وروى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : « **أكثروا من ذكر هازم اللذات** » **وقال رجل : يارسول الله ، أى المؤمنين أفضل ؟ قال** : « **أحسنهم خلقا** » . **قال فأى الفريقين أكيس ؟ .. قال : أكثرهم للموت ذكرا ..**

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٥٧ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٨٥ .
(٣) سورة الجمعة الآية : ٨ .

وأحسنهم لما بعده استعدادا .. أولئك الأكياس »[٤] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله »** »[٥] .

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحص الذنوب .. ويزهد في الدنيا »**[٦] .

إن هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة كلها تقرر أن الموت آت لا ريب فيه .. ولا مفر منه .. وأنه نهاية كل حى .. يقول الحق سبحانه وتعالى مخاطبا سيدنا رسول الله ﷺ : ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ .

كما أنها تقرر أن الموت ليس نهاية المطاف بالنسبة للإنسان ولكنه حلقة يأتى بعدها حلقات .. ونقلة للروح من بعدها نقلات .. ونهاية مرحلة من بعدها مراحل أخر .

والموت غيب لا يدرى الإنسان متى يدركه .. والأجل خفى عن الإنسان لا يعلمه .. انه قدر الله سبحانه وتعالى ومشيئته فى خلقه .. كتب عليهم الفناء وتفرد سبحانه وتعالى بالكمال والبقاء..فقال وقوله الحق : ﴿ **لكل أجل كتاب** ﴾ وقال سبحانه وتعالى فى آية أخرى : ﴿ **وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا** ﴾ وقال سبحانه وتعالى مخاطبا سيدنا رسول الله ﷺ .. ﴿ **وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فيهم الخالدون** ﴾ .

لا خلود لأحد فى هذه الحياة الدنيا .. هذا هو قرار الحق سبحانه وتعالى وعلى ذلك أفمن العقل فى شىء فرارنا من الموت ؟ ثم لماذا ننسى الموت ؟ ولماذا لا نعمل للموت ولما بعد الموت إذا كنا قد آمنا حقا بما قرر الحق سبحانه وتعالى

---

(٤) الحديث : رواه الترمذى .

(٥) الحديث : رواه الترمذى .

(٦) الحديث : رواه الترمذى .

على صفحات القرآن الكريم إذ يقول وقوله الحق : ﴿ **قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ .

وإذا كان الموت نهاية لمرحلة الحياة الدنيا فإنه بداية لمرحلة أخرى وأنه نهاية لمرحلة عمل وتكليف .. وأنه بداية جزاء ووفاء .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **وإنما توفون أجوركم يوم القيامة** ﴾ .. الوفاء بالأجر فى الأخرة .. لابد أن يكون قد سبقه عمل فى الحياة الدنيا .. وهذا العمل .. قد يكون كما يحب الله ويرضى .. وقد لا يكون كذلك .

فإن كان العمل السابق على الموت كما يحب الله ويرضى فإن الجنة هى المأوى .. وإن كان غير ذلك فان النار هى المأوى ..

ولأن النفس البشرية فى طبيعة خلقها وتكوينها تهفوا إلى الشهوات .. والملذات .. فقد أحاط الحق سبحانه وتعالى النار بهذه الشهوات .. ولأن النفس البشرية تهاب المكاره وتكره الشدائد .. جعل الحق سبحانه وتعالى الطريق إلى الجنة محفوف بهما .. وكأنه سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا إن كنتم تريدون الجنة فلابد أن تعملوا فى الحياة الدنيا على تهذيب أنفسكم وردعها عن شهواتها وغيها وترويضها على عبادتى وتحمل المشقة فى سبيلى .. وإن أتبعتم الأهواء والشهوات فإن النار موعدكم .. يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى** ﴾ ويقول تعالى فى آية أخرى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى** ﴾ .

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة ، فقال : أنظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها ، قال : فجاء فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها ، قال : فرجع إليه ، قال : وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ، فأمر بها فحفت بالمكاره ، فقال : أرجع إليها ، فرجع إليها ، فقال : وعزتك لقد خفت ألا يدخلها أحد ، وقال :**

أذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها ، قال : فنظر إليها ، فإذا هى يركب بعضها بعض ، فرجع إليه فقال : وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها ، فأمر بها فحفت بالشهوات ، فقال : أرجع إليها ، فقال : وعزتك لقد خشيت ألا ينجو منها أحد »[٧] .

الموت عبرة وعظـــة :

فالموت سلطان الله ومشيئته فى خلقه الذى لا يهاب كبيرا ولا صغيرا .. ولا يرحم ضعيفا .. ولا فرق أمامه بين غنى أو فقير .. ولا عزيز أو حقير .. كل الناس أمام حقيقة الموت سواسية .

ومع أن الناس تؤمن بهذا الأمر إلا أنهم فى غفلة ومجون .. ومع أن التذكير بالموت وما فيه من عبرة وعظة دائم ومستمر فلا يمر يوم من الأيام بل تمر ساعة واحدة إلا وذكر الموت على لسانك تحدث به الناس .. أو يصل إلى أسماعك قد تنقلته ألسنة الناس .. فلان مات بالأمس .. وابن فلان مات اليوم .. فلان هذا مات بسبب كذا وكذا .. وفلان مات فجأة .. وفلان هذا ترك لأهله بعد موته كذا وكذا وفلان غاش فى حياته مسرفا فلما مات لم يترك لأهله شيئا .. فذكر الموت والأموات حديث لا ينقطع .

وعلى الرغم من ذلك فإن الناس تنسى أو قل تتناسى الموت وما فيه .. وذلك لأنهم أمنوا به شكلا ظاهرا ، ولم يتفكروا فيه كحقيقة واقعة .. أو أنهم يستبعدون تلك الحقيقة .

لذا نرى أحوالهم فى هذه الحياة الدنيا .. تثير العجب حقا لأنهم أيقنوا أن الموت آت لا ريب فيه ولا يعملون له .. وأيقنوا أن الدنيا لا تدوم لأحد وأفنوا أنفسهم فى طلبها وفى طلب المزيد منها .. والحرص عليها .. والحزن على ما فاتهم منها .. والفرح بما اكتنزوا من زينتها .

---

(٧) الحديث : رواه أبو داود والنسائى والترمذى واللفظ له وقال لى صحيح .

روى عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قلت : يارسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال : « **كانت عبرا كلها ، عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح وعجبت لمن أيقن بالنار ثم هو يضحك ، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها ثم اطمأن إليها ، عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ثم لا يعمل** »(٨) .

وعن سهل بن سعيد الساعدى رضى الله قال : مات رجل من أصحاب النبى ﷺ فجعل أصحابه يثنون عليه ويذكرون من عبادته ورسول الله ساكت ، فلما سكتوا قال رسول الله ﷺ : « **هل كان يكثر ذكر الموت ؟ قالوا : لا ، قال : فهل كان يدع كثيرا مما يشتهى ؟ قالوا : لا ، قال : « ما بلغ صاحبكم كثيرا مما تذهبون** »(٩) .

وروى عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله : « **أيها الناس أستحيوا من الله حق الحياء** » **فقال رجل يارسول الله ، إنا لنستحى من الله تعالى فقال** : « **من كان منكم مستحيا فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين عينيه ، وليحفظ البطن وما وعى ، والرأس وما حوى ، ويذكر الموت والبلى وليترك زينة الدنيا** »(١٠) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما أحد يموت إلا ندم » قالوا : وما ندامته يارسول الله ؟ قال : « إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع** »(١١) .

وروى عن جابر بن عبد الله رضى لله عنهما قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : « **يأأيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له**

---

(٨) الحديث : رواه ابن حبان فى صحيحه .

(٩) رواه : الطبرانى بإسناد حسن .

(١٠) الحديث : رواه الطبرانى فى الأوسط .

(١١) رواه : الترمذى والبيهقى فى الذهد .

وكثرة الصدقة فى السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتجبروا »[12] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه : « **اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** »[13] .

وعن عبد الله بن شداد أن نفرا من بنى عذرة آتوا النبى ﷺ فأسلموا ، قال : فقال النبى ﷺ : « من يكفلنيهم » قال طلحة : أنا ، قال : فكانوا عند طلحة ، فبعث النبى ﷺ بعثا فخرج فيه أحدهم فأستشهد ، ثم بعث بعثا فخرج فيه اخر فاستشهد ، ثم مات الثالث على فراشه قال طلحة : فرأيت هؤلاء الثلاثة الذين كانوا عندى فى الجنة ، فرأيت الميت على فراشه أمامهم ، ورأيت الذى استشهد أخيرا يليه ، ورأيت أولهم أخرهم ، قال فداخلنى من ذلك ، فأتيت النبى ﷺ فذكرت ذلك فقال: « **وما أنكرت من ذلك ليس أحد أفضل عند الله عز وجل من مؤمن يعمر فى الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله** »[3] .

ولما كان الموت كذلك كان جدير بالإنسان أن يكون أمله فى الدنيا قصير وذكره للموت وما بعد الموت كبير .

قصر الأمل فى الحياة الدنيا :

لقد أوصى سيدنا رسول الله ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم بقصر الأمل فى الحياة الدنيا .. وعدم الاغترار بزينتها وشهواتها .

يقول سيدنا رسول الله ﷺ لعبد الله ابن عمر : « **إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح ، وخذ**

---

(١٢) الحديث : رواه ابن ماجه .

(١٣) الحديث : رواه الحاكم .

(١٤) الحديث : رواه الإمام أحمد وأبو يعلى ورواتهما رواة الصحيح .

من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فإنك يا عبد الله لا تدرى ما أسمك غدا »(١٥) .

وروى الإمام على كرم الله وجهه ، أنه عليه الصلاة والسلام قال : **« إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان ، اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فأنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا » ثم قال : « الا إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويبغض وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، ألا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ألا ان الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا أنكم فى يوم عمل ليس فيه حساب ألا إنكم توشكون فى يوم حساب ليس فيه عمل »**(١٦) .

وقال أبو سعيد الخدرى اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول : **« ألا تعجبون من أسامة المشترى إلى شهر أن أسامة لطويل الأمل ، والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى إلا ظننت شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت أننى واضعه حتى أقبض ، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أننى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت » ثم قال : « يابنى آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى والذى نفسى بيده أن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين »**(١٧) .

وقالت أم المنذر : اطلع رسول الله ﷺ ذات عشية فقال : **« أيها الناس أما تستحيون من الله ، قالوا : وما ذاك يارسول الله ؟ قال : تجمعون ما لا تأكلون ، وتأملون ما لا تدركون ، وتبنون ما لا تسكنون »**(١٨) .

---

(١٥) الحديث : رواه ابن حبان ورواه البخارى من حديث ابن عمر كن فى الدنيا كأنك غريب .

(١٦) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا فى قصر الأمل وهو ضعيف .

(١٧) الحديث : رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية بسند ضعيف .

(١٨) الحديث رواه ابن أبى الدنيا .

وقال عبد الله بن مسعود : خط لنا رسول الله ﷺ خطا مربعا ، وخط وسطه خطا ، وخط خطوطا إلى جنب الخط ، وخط خطا خارجا وقال : « **أتدرون ما هذا ؟** » **قلنا : الله ورسوله أعلم . قال** : « **هذا الإنسان** » **للخط الذى فى الوسط** « **وهذا الأجل محيط به ، وهذه الأعراض** » **الخطوط التى حوله فتنهشه ، إن أخطأه هذا نهشه هذا** « **وذاك الأمل** » **يعنى الخط الخارج**[١٩] .

وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ : « **يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص والأمل** » وفى رواية أخرى : « **تشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر** »[٢٠] .

وقال الحسن قال رسول الله ﷺ : « **أكلكم يحب أن يدخل الجنة** » **قالوا : نعم يارسول الله ، قال** : « **قصروا من الأمل ، وثبتوا أجلكم بين أبصاركم .. وأستحيوا من الله حق الحياء** »[٢١] .

وكان سيدنا رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم إنى أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل** »[٢٢] .

الناس فى ذكر الموت :

ولقد قسم الإمام الغزالى رحمه الله .. الناس فى ذكر الموت إلى : ثلاثة أصناف :

---

(١٩) الحديث : رواه الإمام البخارى .
(٢٠) رواه بن أبى الدنيا ومسلم .
(٢١) رواه ابن أبى الدنيا من حديث الحسن مرسلا .
(٢٢) الحديث رواه ابن أبى الدنيا وإسناده ضعيف .

فمن الناس من لا يذكر الموت إلا نادرا .. وإذا ذكره كرهه .. وذلك لأنهماكه فى الدنيا وغروره بها وانشغاله بما فيها .. وهذا الصنف من الناس ذكره للموت .. يزده من الله بعدا .. لأنه يكره لقاء الله .

وأما الصنف الثانى : فمن الناس من أقبل بوجهه على الله تعالى .. فتاب عما ينبغى ... فذكر الموت يزيده خشية وتأهبا .. واستعدادا ووفاء .. فهذا لا يكره الموت حبا فى الدنيا وما فيها .. وإنما يكره الموت لقلة زاده وعدم استعداده وهذه الكراهية .. ليست كراهية لقاء الله بل هو غير مذموم .. لأنه يريد الحياة للتأهب للموت والاستعداد له .. وذلك لأنه يحس أنه مقصر فى جنب الله دائما .

وأما الصنف الثالث : فاولئك العارفون ... فالعارف يذكر الموت دائما لكونه موعدا للقاء الحبيب .. والمحب لا ينسى قط موعد حبيبه ومثل هذا العبد يستبطىء مجيىء الموت ...

وروى عن حذيفة بن اليمانى رضى الله عنه قال : اللهم ان كنت تعلم أن الفقر أحب إلى من الغنى .. والسقم أحب إلى من الصحة .. والموت أحب إلى من الحياة .. فسهل على الموت حتى ألقاك .

فهذا الصنف من الناس قد وصل إلى مرتبة التفويض .. وهى أعلى المراتب .. أن يفوض العبد أمره إلى الله تعالى .. فلا يختار لنفسه إلا ما يختاره الله .

من خطب سيدنا رسول الله ﷺ فى ذكر الموت :

قال عليه الصلاة والسلام : « **يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد ، يأهل الجنة فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ، ثم ينادى : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ، فيذبح ثم يقول : يا أهل الجنة خلود فلا موت ،**

ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ ﷺ قوله تعالى : ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ﴾ »[٢٣] .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « **يأيها الناس ان لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم ، وان العبد بين مخافتين : بين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به ، وبين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لاخرته ومن الشيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت ، والذى نفس محمد بيده ما بعد من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة والنار »**[٢٤، ٢٥] .

وقال سيدنا سول الله ﷺ : « **يأيها الناس كأن الموت فيها – يعنى الدنيا – على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب وكأن الذى يشيع من الأموات سفر – أى مسافر – عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجدثهم ، ونأكل من تراثهم كأنا مخلدون بعدهم ، نسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة – أى الآفة المهلكة –.... واتقوا الله حق تقاته ، واسعوا فى مرضاته ، وأيقنوا من الدنيا بالفناء ، ومن الآخرة بالبقاء ، وأعملوا لما بعد الموت ، فكأنكم بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل ، ألا وأن من فى الدنيا ضيف وما فى يده عارية ، وان الضيف مرتحل ، والعارية مردودة ، ألا وأن الدنيا عرض حاضر يأكل البر والفاجر ، والآخرة وعد صدق يحكم فيها ملك قادر ، فرحم الله أمرأ نظر لنفسه ومهد لرمسه ، ما دام سنه مرخى وحبله على غاربه ملقى قبل أن ينفد أجله وينقطع عمله »** .

عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله تعالى : ﴿ **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام** ﴾ قال : إذا دخل النور القلب أنفسخ وانشرح قالوا هل لذلك من علامة يعرف بها ؟

---

(٢٣) سورة مريم الآية : ٣٩ .

(٢٤) الحديث : رواه الإمام البخارى . (٢٥) الحديث : رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

قال : « **الإنابة إلى دار الخلود ، والتنحى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت** »[٢٦] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لابد متمنيا للموت فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى** »[٢٧] .

وروى أبو موسى الأشعرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إذا مات ولد العبد ، قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون نعم ، فيقول : هل قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدى فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول : ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة ، وسموه بيت الحمد** »[٢٨] .

وكان سيدنا رسول الله يقول فى دعائه :

« **اللهم إنى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لى وترحمنى ،وإذا أردت فتنة فى قومى فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقرب إلى حبك** »[٢٩] .

ويروى أن سيدنا رسول الله ﷺ خرج إلى المسجد فإذا بقوم يتحدثون ويضحكون .. فقال : « **أذكروا الموت .. أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا** » .

---

(٢٦) الحديث : رواه ابن جرير .
(٢٧) الحديث : متفق عليه .
(٢٨) الحديث : رواه الترمذى .
(٢٩) الحديث : رواه الترمذى .

أقوال الصالحين فى ذكر الموت :

وجاء فى كتاب نزهة الناظرين للشيخ عبيد الضرير .. أن يزيد الرقاشى (أحد الصالحين) كان يقول لنفسه : ويحك يايزيد .. من ذا يصلى عنك بعد الموت ؟ ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ ومن ذا يرضى عنك بعد الموت ؟ ثم يقول : يأيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقى حياتكم ؟ .. من الموت موعده .. والقبر بيته .. والتراب فراشه .. والدود أنيسه .. وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر .. كيف يكون حاله ؟ ثم يبكى حتى يسقط مغشيا عليه .

وقال أحد الصالحين : من أكثر من ذكر الموت .. أكرم بثلاثة أشياء .. تعجيل التوبة .. وقناعة القلب .. ونشاط العبادة .. ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء .. تسويف التوبة .. وترك الرضى بالكفاف .. والتكاسل عن العبادة .

وقال الحسن رحمه الله : فضح الموت الدنيا .. فلم يترك لذى لب فرحا وما ألزم عبد قلبه ذكر الموت إلا صغرت عنده الدنيا .. وهان عليه جميع ما فيها ... وقال أحد الصالحين : إن هذا الموت قد نغص على أهل النعيم نعيمهم .. فاطلبوا نعيما لا موت فيه .

وقيل لحاتم الأصم رحمه الله : كيف أصبحت ؟ قال : كيف يصبح من أجله قريب .. وأمله بعيد .. والموت أمامه .. والقبر مسكنه .. وهو مع ذلك مطالب بثمانى خصال : قيل : وما هن ؟ قال : الله تعالى يطالبنى بالفرض .. والنبى بالسنة والنفس بالقوت .. والوالدان بالبر .. والملكان بصدق اللسان .. والقبر بالجسم .. والدود باللحم .. ومنكر ونكير بالحجة .. فهؤلاء غرمائى .. فكيف يصبح من كان على هذه الحالة ؟ »[٣٠] .

---

(٣٠) كتاب نزهة الناظرين ص ٢١٧ ، ٢٨٨ .

ويروى أن العارف بالله – أبو حازم – رضى الله عنه .. دخل على أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك .. فقال له : يأأبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم عمرتم الدنيا .. وخربتم الآخرة .. فأنتم تكرهون النقله من العمران إلى الخراب .

قال : يأأبا حازم .. كيف القدوم على الله تعالى ؟ قال : يا أمير المؤمنين أما المحسن : فكالغائب .. يأتى أهله فرحا .. وأما المسيء فكالعبد الآبق يأتى مولاه خائفا محزونا .

ومرض الإمام الشافعى رضى الله عنه .. فدخل عليه رجل من أصحابه يعوده فى مرضه الذى مات فيه .. فقال له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله ؟ فقال الإمام رضى الله عنه : أصبحت عن الدنيا راحلا .. وللإخوان مفارقا .. ولسوء عملى ملاقيا ولكأس المنية شاربا .. وعلى ربى سبحانه وتعالى واردا .. ولا أدرى أروحى سائرة إلى الجنة فأهنيها .. أو إلى النار فأعزيها .. ثم أنشد هذه الأبيات :

ولما قسى قلبى وضاقت مذاهبى ... جعلت الرجا منى لعفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته ... بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب ... لم تزل تجود وتعفو منة وتكرما

وقال عمر بن عبد العزيز فى خطبة له : أيها الناس ، إنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى ، وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم ، فخاب وشقى غداً عبد أخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شيء ، وجنته التى عرضها السموات والأرض .

وإنما يكون الأمان غداً لمن خاف واتقى ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق ، وشقوة بسعادة ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ، وسيخلف بعدكم الباقون ؟

ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل قد قضى نحبه ، وانقطع أمله ، فتضعونه فى بطن صدع – أى شق – من الأرض

غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ؟

وأيم الله إنى لأقول مقالتى هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من نفسى ، ولكنها سنن من الله عادلة ، أمر فيها بطاعته ، وأنهى فيها عن معصيته ، واستغفر الله ، ووضع كفه على وجهه وجعل يبكى حتى بلت دموعه لحيته .

وما عاد إلى مجلسه حتى مات فكانت هذه آخر خطبة له .

وقال رضى الله عنه : فهو خامس الخلفاء الراشدين – فى خطبة له : إن الدنيا ليست بدار قراركم ، دار كتب الله عليها الفناء ، وكتب على أهلها الظعن عنها ، فكم من عامر موثق عما قليل يخرب ، وكم من مقيم مغتبط عما قليل يظعن – أى يرحل – ،

فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة ، بأحسن ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، إنما الدنيا كفىء ظلال قلّص فذهب ، بينما ابن آدم فى الدنيا ينافس وهو قرير العين ، إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعه ومغناه .

إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً وتحزن طويلاً .

وقال رضى الله عنه فى خطبة أخرى :

إلكل سفر زادا لا محالة ، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى ، وكونوا كمن عاين ما أعد الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم ، وتنقادوا لعدوكم ، فإن والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله يصبح بعد مسائه ، ولا يمسى بعد صباحه ، وربما كانت بين ذلك خطفات المنايا .

وكم رأيت ورأيتم من كان بالدنيا مغتراً ، وإنما تقرعين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى ، وإنما يفرح من أمن أهوال القيامة ، فأما من لا يداوى

كلما – جرح – إلا أصابه جرح من ناحية أخرى فكيف يفرج .

أعوذ بالله من أن آمركم بما لا أنهى عنه نفسى، فتخسر صفقتى ، وتظهر عيبتى ، وتبدو مسكنتى فى يوم يبدو فيه الغنى والفقير ، الموازين فيه منصوبة .

لقد عنيتم بأمر لو عنيت به النجوم لانكدرت ، ولو عنيت. به الجبال لذابت ، ولو عنيت به الأرض لتشققت .

أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة ، وأنكم صائرون إلى إحداهما .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى إحدى خطبه : أين الوضاءة الحسنة وجوههم ؟ المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان ؟

أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب ؟ قد تضعضع بهم الدهر ، فأصبحوا فى ظلمات القبور .

وقال عبد الله بن سميط : سمعت أبى يقول : أيها المغتر بطول صحته ، أما رأيت ميتا قط من غير سقم ؟

أيها المغتر بطول المهلة ، أما رأيت مأخوذاً قط من غير عُدة ؟ إنك لو فكرت فى طول عمرك لنسيت ما قد تقدم من لذاتك ،

أبالصحة تغترون ؟ أم بطول العافية تمرحون ؟ أم الموت تأمنون ؟ أم على ملك الموت تجترئون ؟ إن ملك الموت إذ جاء لا يمنعه منك ثروة مالك ، ولا كثرة احتشادك – أبناؤك – .

أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب ، وغصص ، وندامة على التفريط ، ثم يقال : رحم الله عبداً عمل لما بعد الموت ، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت .

وقال أحد الصالحين : كلنا قد أيقن بالموت .. وما نرى له مستعد .. وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملا .. وكلنا أيقن بالنار وما نرى لها خائفا فماذا تفرحون ؟ وما عسيتم تنتظرون ؟ الموت أول وارد عليكم من أمر الله بخير أو بشر .. فيا أخوتاه سيروا إلى الله سيرا جميلا .

ونزل الأمين جبريل عليه السلام ذات يوم على سيدنا رسول الله فقال له : يا محمد عش ما شئت .. فانك ميت .. وأعمل ما شئت .. فانك مجزى به .. وأحبب من شئت .. فانك مفارقه .. وأعلم بأن شرف المؤمن قيام الليل .. وعزه :استغناؤه . عن الناس .

وقال عليه الصلاة والسلام لأبى ذر الغفارى : يا أبا ذر .. أخلص النية فإن المولى عظيم .. وبادر بالعمل فإن الأجل قريب .. وجوده بالتحقيق فان الناقد بصير .. وأكثر الزاد فإن الطريق سحيق .. وأوثق السفينة فإن البحر عميق(٣١) .

كيف نذكر الموت ؟

يقول الإمام الغزالى رحمه الله فى كتابه إحياء علوم الدين : أعلم أن الموت هائل وخطره عظيم ، وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له .

ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ ، بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا ، .

فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كل شىء إلا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه ، كالذى يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة – صحراء مهلكة – أو يركب البحر فإنه لا يفكر إلا فيه .

---

(٣١) كتاب نزهة الناظرين ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

فإذا باشر ذكر الموت قلبه ، فيوشك أن يؤثر فيه ، وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه .

وأنجع – أحسن – طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه – أصحابه – الذين مضوا قبله .. فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب ، ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم ، ويتأمل كيف محا التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم ، وكيف أرملوا نساءهم ويتموا أولادهم ، وضيعوا أموالهم ، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت اثارهم منهما ، تذكر رجل رجلا وفصل فى قلبه حاله وكيفية موته ، وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله العيش والبقاء ونسيانه للموت ، وانخداعه بمواتاة الأسباب – اقبالها عليه – وركونه إلى القوة والشباب .

وميله إلى الضحك واللهو ، وغفله عما بين يديه من الموت الزريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد انهدمت رجلاه ومفاصله ، وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه ، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه ، وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين فى وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهرا، وهو غافل عما يراد به ، حتى جاء الموت فى وقت لم يحتسبه ، فانكشف له صورة الملك ، وقرع سمعه النداء ، إما بالجنة وإما بالنار . فعند ذلك ينظر فى نفسه أنه مثلهم ، وغفلته كغفلتهم ، وستكون عاقبته كعاقبتهم ، قال أبو الدرداء رضى الله عنه : إذا ذكرت الموتى فعد نفسك كأحدهم ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه: السعيد من وعظ بغيره .

وقال عمر بن عبد العزيز : ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم غاديا أو رائحا إلى الله عز وجل تضعونه فى صدع – أى شق – من الأرض ، قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب .

فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذى يجدد ذكر الموت فى القلب .. حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب

عينيه ، فعند ذلك يوشك أن يستعد له ، ويتجافى عن دار الغرور ، وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان – أى طرفه – قليل الجدوى فى التحذير والتنبيه ومهما طاب قلبه بشىء من الدنيا ينبغى أن يتذكر فى الحال أنه لابد له من مفارقته .

نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ، ثم بكى فقال : والله لولا الموت لكنت بك مسرورا .

ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت الدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى أرتفع صوته[٣٢] .

وقيل يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال : « نعم من يذكر الموت فى اليوم والليلة عشرين مرة »[٣٣] .

وإذا كان الأمر كذلك فواجب على كل مسلم أن يبادروا إلى العمل الصالح الذى يحب الله ويرضى .. وأن يحذروا آفة التأخير والركون إلى الدنيا والاغترار بزينتها وزخارفها فتفتنهم فتنة لا فواق لها إلا على أسوار سقر وما أدراك ما سقر ...

وهكذا كان سلفنا الصالح رضى الله عنهم فيقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه التؤدة فى كل شىء خير إلا فى أعمال الخير للآخرة .

وكان الحسن يقول فى موعظته : المبادرة المبادرة ، فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل ، رحم الله امرؤً نظر إلى نفسه ، وبكى على عدد ذنوبه ثم قرأ هذه الآية ﴿ **إنما نعُد لهم عدا** ﴾[٣٤] **يعنى** الأنفاس ، آخر العدد .. خروج **نفسك** ، آخر العدد .. فراق **أهلك** ، آخر العدد .. دخولك فى قبرك ،

---

(٣٢) كتاب إحياء علوم الدين .

(٣٣) الحديث : رواه الترمذى .

(٣٤) سورة مريم الآية : ٨٤ .

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف ، وماله عارية ، والضيف مرتحل ، والعارية مؤداه .

وقال أبو عبيدة الباجى : دخلنا على الحسن فى مرضه الذى مات فيه ، فقال : مرحبا بكم وأهلا ، حياكم الله بالسلام ، وأحلنا وأياكم دار المقام .

هذه علانية حسنة إن صبرتم وصدقتم وأتقيتم ، فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمكم الله أن تسمعوه بهذه الآذان ، وتخرجوه عن هذه الآذان ، فإن من رأى محمدا ﷺ فقد رآه غاديا رائحا ، لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن رفع له علم فشمر إليه الوحا الوحا النجا النجا ، علام تفرحون ؟ أتيتم ورب الكعبة كأنكم والأمر معا : رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل كسرة ولبس خلقا ، ولزق بالأرض واجتهد فى العبادة ، وبكى على الخطيئة وهرب من العقوبة ، وابتغى الرحمة حتى يأتى أجله وهو على ذلك(٣٥) .

---

(٣٥) الحديث : رواه ابن حبان فى الثقات .

ذكر ملك الموت

ملك الموت هو (عزرائيل) عليه السلام وهو أحد الملائكة الأربعة الرؤساء .. وهو ملك الموت ورسوله وقابض جميع الأرواح بإذن الله ومشيئته .. بعد أن تستوفى كل نفس رزقها وينقضى أجلها .

وهو ملك هائل المنظر مفزع مرعب ولكن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن هذا الملك يترفق بالمؤمن ولاسيما العبد الصالح المخلص فيأتيه فى صورة حسنة .. ويجذب روحه فى سهولة ويسر ويخاطبها بكلام حسن جميل فيقول لها « أخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى جسد طيب أخرجى راضية مرضية وأبشرى بروح وريحان وجنة نعيم ورب راض عنك غير غضبان ، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج .. ولحكمة الله سبحانه وتعالى أيضا فان هذا الملك يشتد على غير المؤمن ويقول لأرواحهم : أخرجى أيتها الروح أو النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث ، وأبشرى بالحميم والغساق وآخر من شكله أزواج أخرجى ذميمة مقبوحة إلى غضب من الله وسخط » فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج .

قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم** ﴾ .

وروى أن ملك الموت كان يأتى الناس ظاهرا فقد أخرج الإمام أحمد والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن ملك الموت كان يأتى الناس عيانا فأتى موسى فى صورة آدمى فلطمه موسى ففقأ عينه ، فأتى ربه فقال : يارب عبدك موسى فقأ عينى ولولا كرامته عليك لشققت عينه قال : إذهب إلى عبدى فقل له : فيضع يده**

على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده سنة .. فآتاه .. فقال : موسى لملك الموت : ما بعد هذا ؟ قال : الموت ، قال : فالآن فشمه شمة فقبض روحه ، ورد الله على عزرائيل عينه .. فكان بعد ذلك يأتى الناس خفية » .

وروى عن عمر أنه قال : « إذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على عتبة الباب ولأهل البيت ضجة فمنهم الصاكة وجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ، ومنهم الداعية بويلها ، فيقول ملك الموت عليه السلام : ففيم هذا الجزع ، فوالله ما أنقصت لأحد منكم عمرا ، ولاذهبت لواحد منكم برزق ، ولا ظلمت أحدا منكم شيئا ، فإن كانت شكايتكم وسخطكم على فإنى والله مأمور ، وإن كان ذلك على ميتكم فإنه فى ذلك مقهور ، وإن كان ذلك على ربكم فأنتم به كفره ، وإنى لى فيكم عودة ثم عودة ، فلو أنهم يرون مكانه أو يسمعون كلامه لزهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم »(٣٦) .

ويروى عن الخليل إبراهيم عليه السلام أنه قال لملك الموت : هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض عليها روح الفاجر ؟ قال : لا تطيق ذلك قال : فأعرض عنى ، فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو رجل أسود قائم منتن الرائحة أسود الثياب .. يخرج من منخاره لهب النار ودخان .. فغُشى على إبراهيم عليه السلام فلما أفاق وقد عاد الملك إلى صورته الأولى فقال : ياملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موتهِ إلا صورة وجهك لكان حسبه .. ثم قال الخليل إبراهيم عليه السلام : ياملك الموت هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم .. فأعرض ثم التفت .. فإذا هو شاب جميل الصورة وقد ذكر من حسنه وحسن ثيابه وطيب ريحه .. فقال ياملك الموت لو لم يلق المؤمن عند موته إلا صورتك كان حسبه .

ومن هذا الحديث يتضح لنا أن ملك الموت يتشكل فى صوره على حسب منزلة الإنسان المقبوض .. ودرجة إيمان هذا العبد بالله سبحانه وتعالى فيأتى إلى الكافر فى صورة بشعة مخيفة مفزعة مرعبة .. ويأتى إلى المؤمن

---

(٣٦) أخرجه أبو مطيع فى اللؤلؤيات .

فى صورة حسنة جميلة تسر عينه وخاطره وتجعله مطمئنا.. وتشد من عزمه فى هذا الوقت القاتل وقت الرحيل والسفر .

روى أنه ما من ميت يموت حتى يرى ملكاه الكاتبان عمله .. فإن كان مطيعا قالا له : جزاك الله عنا خيرا .. فرب مجلس صدق أجلستنا .. ورب عمل صالح أحضرتنا .. وإن فاجرا .. قالا له : لا جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس سوء أجلستنا .. ومن كلام قبيح أسمعتنا .

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة والنار** »(٣٧) .

فملك الموت إذا أتى المحتضر قال له إن كان مؤمنا حقا : أبشر ياولى الله بالجنة وإن كان مسيئا فاجرا فاسقا كافرا .. قال له : أبشر ياعدو الله بالنار .

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام ما لى لا أراك تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا ؟ قال : ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هى صحف أو كتب تلقى إلىّ فيها أسماء ، وقال وهب ابن منبه : كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه ، فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه بعد مرات ، وكذلك طلب دابة فأُتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب ،فركب أحسنها فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة ، فملأه كبرا ، ثم سار وسارت معه الخيول ، وهو لا ينظر إلى الناس كبرا ، فجاءه رجلا رث الهيئة ، فسلم فلم يرد عليه السلام ، فأخذ بلجام دابته ، فقال : أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرا عظيما ، قال : إن لى إليك حاجة ، قال : إصبر حتى أنزل ، قال : لا ألآن فقهره على لجام دابته ، فقال : إذكرها ، قال : هو سر ، فأدنى له رأسه ، فساره وقال : أنا ملك الموت ، فتغير لون الملك ، واضطرب لسانه ، ثم قال : دعنى حتى أرجع إلى أهلى ، وأقضى حاجتى ، وأودعهم قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك

---

(٣٧) رواه ابن أبى الدنيا .

أبدا ، فقبض روحه ، فخر كأنه خشبة ، ثم مضى فلقى عبدا مؤمنا فى تلك الحال .. فسلم عليه فرد عليه السلام فقال : إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك ، فقال : هات ، فساره وقال : أنا ملك الموت ، فقال : أهلا ومرحبا بمن طالت غيبته على فوالله ما كان فى الأرض غائب أحب إلىَّ أن ألقاه منك فقال ملك الموت : أقض حاجتك التى خرجت لها ، فقال : ما لى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى ، قال : فاختر على أى حال شئت أن أقبض روحك فقال : تقدر على ذلك ؟ قال : نعم إنى أمرت بذلك ؟ قال : فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ، ثم أقبض روحى وأنا ساجد ، فقبض روحه وهو ساجد .

وقال أبو بكر بن عبد الله المزنى : جمع رجل من بنى إسرائيل مالا ، فلما أشرف على الموت قال لبنيه : أرونى أصناف أموالى فأُتى بشيء كثير من الخيل والإبل ، والرقيق ، وغيره ، فلما نظر إليها بكى تحسرا عليها، فرآه ملك الموت وهو يبكى فقال له : ما يبكيك ؟ فوالذى خولك (أعطاك) ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك ، قال : فالمهلة حتى أفرقه ، قال : هيهات إنقطعت عنك المهلة ، فهلا كان ذلك قبل حضور أجلك فقبض روحه .

قال عطاء بن يسار : إذا كان ليلة النصف من شعبان دُفع إلى ملك الموت صحيفة ، فيقال : إقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة ، قال : فإن العبد ليغرس الغراس ، وينكح الأزواج ، ويبنى البنيان وأن أسمه فى تلك الصحيفة وهو لا يدرى .

وقال يزيد الرقاشى : بينما جبار من الجبابرة من بنى إسرائيل جالسا فى منزله قد خلا ببعض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته ، فثار إليه فزعا مغضبا فقال له : من أنت ؟ ومن أدخلك على دارى ؟ فقال : أما الذى أدخلنى الدار فربها وأنا الذى لا يمنع منى الحجاب ، ولا أستئذن على الملوك ، ولا أخاف صولة المتصلتين، ولا يمتنع منى كل جبار عنيد ، ولا شيطان مريد ، قال : فسقط يده الجبار ، وأرتعد حتى سقط منكبا على

وجهه ، ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذللا له ، فقال له : أنت إذا ملك الموت ، قال : أنا هو ، قال : فهل أنت ممهلى حتى أحدث عهدا ؟ قال هيهات انقطعت مدتك ، وانقطعت أنفاسك ، ونفذت ساعاتك ، فليس إلى تأخيرك سبيل ، قال : فإلى أين تذهب بى ؟ قال : إلى عملك الذى قدمته وإلى بيتك الذى مهدته ، قال : فإنى لم أقدم عملا صالحا ولم أمهد بيتا حسنا ، قال : فإلى لظى .. نزاعة للشوى ، ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله ، فمن بين صارخ وباك .

قال يزيد الرقاشي : لو يعلمون سوء المنقلب كان العويل على ذلك أكثر .

الفصل الثانى

سكــرات المــوت

مقـــــدمة .
أحوال الناس فى ساعة الرحيـــل .
شـــدة سكرات الموت .
شدة الشيطان على المحتضـــر .
تلقين المحتضـــــر .
وفاة سيدنا رسول الله ﷺ .
وفاة أبو بكر والخلفاء الراشدين من بعده .
غســــل الميت .
كفـــن المـــيت .
الصـــلاة على الميت .
حمـــل الجنـــازة .

الفصل الثانى

الاحتضـــار

مقدمـــة :

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾[1] .

والاحتضار هو : الفترة القصيرة التى تسبق خروج الروح من الجسد .. وهى ما نسميها باللحظات الأخيرة .. أو النزع الأخير .. وفيها يعالج المحتضر سكرات الموت وغمراته .. فهو الآن على أهبة السفر إلى الله سبحانه وتعالى وهى لحظات هانئة وسعيدة .. على بعض الناس من ذوى الإيمان الصادق والأعمال الصالحة .. وتكون شاقة ومؤلمة جدا على بعض الناس وهؤلاء .. أغنياء عن التعريف .. لا ردهم الله من سفر .

هذه هى اللحظات الأخيرة .. وهى نهاية المطاف فى الحياة الدنيا .. وبداية رحلة البرزخ .. وهى هى النهاية المحتومة لكل حى مهما طال أجله ومن المعروف أن نهاية الشيء .. هى قمة الثمرة فيه .. فإذا كانت الحياة الدنيا هانئة سعيدة .. بعبادة الله الواحد القهار .. كانت هذه اللحظات أسعد اللحظـات فيها .. وإذا كانت الدنيا .. شقية تعيسة .. بالبعد عن الله سبحانه وتعالى وعن ذكره وعبادته .. كانت هذه اللحظات أشقى وأتعس .

---

(١) سورة ق الآية : ١٩ .

فإذا كانت الحياة الدنيا .. أو كان الإنسان طوال حياته هذه قد آمن بالله ولم يشرك به أحدا .. وكان لهذا الإيمان الصادق .. عنوان مرتبط به .. ومظهر مترتب عليه من العمل الصالح كان هذا الإنسان فى لحظاته الأخيرة أسعد حالا .. أنه يرحل عن دار الامتحان والبلاء إلى دار المقامة والسلام إلى جوار ربه الكريم المنان .. أما إذا كان غير ذلك .. قد تنازعته .. الأهواء والشياطين وارتكب من الآثام ما لا يعد ولا يحصى .. ولم يرجع إلى الله سبحانه وتعالى بالتوبة النصوح .. كان هذا الإنسان فى لحظاته الأخيرة أشقى من فى الأرض جميعا .. قد اجتمعت عليه كل هموم الدنيا وأحزانها ويكون فى كوب ما بعده كرب .. فلقد اجتمع عليه ثلاث : هم وغم وكرب عظيم لو اجتمعوا على جبل لدكوه .

فى هذه اللحظات الأخيرة يكشف الله سبحانه وتعالى .. سرا من الأسرار التى لا يعرفها أحد قط .. ليكون موعظة للمتقين .. وعبرة للناظرين .. فالناظر إلى المحتضر نظرة تأمل وامعان فى هذه اللحظات يرى على وجهه من العلامات ما يعرف منها معرفة لاشك فيها .. عما إذا كان هذا المحتضر محسنا فى حياته كريما فى مماته .. أم أنه كان سيئا فى حياته تعسا فى مماته .

أحوال الناس فى ساعة الرحيل من عالم الشهادة إلى عالم الغيب :

فالمحسن يظهر إحسانه على وجهه فى هذه اللحظات .. بشرا واستبشارا .. ويسرا فى سكراته وغمراته.. وهذا يدل على حسن المنقلب .

أما المسىء .. فتظهر إساءته على وجهه فى هذه اللحظات .. فيكفهر وجهه ويذبد ..وتسمع له خوار كخوار الحمار ... وهذا يدل على سوء المنقلب .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين ، فأما إن كان من المقربين ، فروح**

وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين ، فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم ، إن هذا لهو حق اليقين ، فسبح بسم ربك العظيم ﴾[٢] .

فهذه يأخى سكرات الموت وغمراته .. وفيها يكشف الله سبحانه وتعالى سرا من أسرار عبيده .. بين الإحسان والإسائه .. ليكون عبرة وعظة لنا .. فإذا كان الموت نهاية المحتضر فى الحياة الدنيا .. وبداية مرحلة أخرى له فانه عبرة وعظة لنا نحن الأحياء الذين ننظر إليه فى هذه الساعة .. فكل ذى عقل رشيد ورأى سديد .. يتفكر فى نفسه .. فلابد أن له يوما كهذا اليوم .. ولابد أن له ساعة كهذه الساعة المؤلمة الرهيبة .. ولابد له من رقدة كهذه الرقدة ... ويومه هذا سوف يأتيه حتما ويكشف الله فيه سره .. ذلك السر الذى ستره عليه طوال حياته .. ويكشف عن عنوان مصيره فى هذه اللحظات .. ليكون عبرة وعظة لغيره من جنسه .

فهل يستوى من هو فى روح وريحان وجنة نعيم .. مع من هو فى نزل من حميم ؟ وهل يستوى حال من جاءت إليهم البشارة بجنة النعيم .. بمن جاءتهم بالحميم ؟

قال سيدنا رسول الله ﷺ : « **أرقبوا الميت عند ثلاث : إذا رشح جبينه ، وزفت عيناه ، ويبست شفتاه فهو من رحمة الله تعالى وقد نزلت به** »[٣] .

هذا هو حال الفريق الأول .. أما حال الفريق الثانى فتراه فى حديث .. أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .. عند وفاة سيدنا رسول الله ﷺ ...قالت : « قمت إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسه بين ثدى .. وأمسكت بصدره .. وجعل يغمى عليه .. وجبهته ترشح عرقا .. ما رأيت

---

(٢) سورة الواقعة الآية : ٨٣ وما بعدها .

(٣) الحديث : رواه الترمذى فى كتاب نوادر الأصول .

من إنسان قط أطيب منه .. وجعلت أرسل ذلك العرق .. وما وجدت رائحة شيء قط أطيب منه .. فكنت أقول له إذا أفاق : بأبى وأمى ونفسى وأهلى ومالى .. ما تلقى جبهتك من العرق والرشح فقال : ياعائشة .. إن نفس المؤمن تخرج بالرشح .. ونفس الكافر تخرج من شدقيه كنفس الحمار »(٤) .

وسئل سيدنا رسول الله ﷺ عن الموت وشدته فقال : ان أهون الموت .. بمنزلة حسكة فى صوف .. فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف ؟ »(٥) .

ودخل عليه الصلاة والسلام على مريض فقال : « **إنى أعلم ما يلقى .. فما منه عرق إلا ويألم للموت على حدته** »(٦) .

وروى أن الخليل إبراهيم لما مات قال الله تعالى : كيف وجدت الموت يا خليلى ؟ فقال : كسفود جعل فى صوف رطب .. ثم جذب .. فقال الله : أما أنا قد هونا عليك »(٧) .

وروى أن سيدنا محمد ﷺ دخل على شاب وهو فى سكرات الموت .. فقال له : كيف تجدك ؟ قال : أرجو الله .. وأخاف ذنوبى فقال رسول الله ﷺ : لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه .. وأمنه من خوف »(٨) .

روى أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام « ياابن عمران حببنى إلى عبادى .. وذكرهم نعمى عليهم .. وإحسانى إليهم .. فقال موسى عليه السلام : الهى هذه رحمتك للأحياء .. فما الذى أعددت للأموات ؟ فأوحى الله إليه : ياابن عمران لو سألت أهل القبور .. وأذنت لهم فى جوابك

---

(٤) الحديث : رواه الإمام البخارى .
(٥) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا .
(٦) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا .
(٧) ذكره الإمام الغزالى فى الإحياء .
(٨) الحديث : رواه الترمذى بسند حسن .

لأخبروك .. أن لطفي بهم بعد موتهم أعظم من لطفي بهم في حياتهم ياابن عمران .. لم أقطع عنهم رحمتي وهم أحياء يرزقون .. فكيف أقطعها عنهم وهم تحت الثرى مقبرون ؟ ياابن عمران كم عبد عصاني طوال عمره .. فلما كان عند موته لم أنظر إلى تمرده وجهله .. ونظرت إلى ضعفه وذله .. فألهمته توحيدى .. وأوقفته على بابى .. لينجو من سطوتى وعذابى » .

فهل لك ياأخى فيمن سبق العبرة والعظة ؟ .. فوالله لقد رأيت مصرعا انفطر له قلبى .. وأرتعدت من هوله أوصالى .. وتحجرت منه مدامعى وأحسست بضعفى وذلى وانكسارى .. وهذا المصرع الذى رأيت هو الذى دفعنى إلى تحقيق هذا البحث .

ذهبت ذات يوم لأعود مريضا .. وكان رجلا مقيما للفرائض ويتسم بالصلاح ذلك هو الظاهر الذى نستطيع أن نحكم عليه به .. أما الباطن فالحكم فيه لله عالم الغيب والشهادة .

دخلت البيت فوجدت أهله يبكون .. فى حسرة وألم .. وترى على الوجوه مسحة من جزع وأبصارها زائغة .. فظننت أول الأمر أنه قد مات فقلت : أمر الله ومشيئته .. ومشيئته سبحانه وتعالى نافذة وهو الفعال لما يريد ... فقيل : ياليته قد مات .. ندعو الله أن يتولاه برحمته .

أناس ياذا العقل .. يبكون فى وجل وفى جزع عظيم .. ليس من أجله أو مخافة فراقه .. ولكن اشفاقا عليه .. وحزنا على ما يلاقيه فى سكرات الموت .. من كرب شديد .. حتى أنهم يدعون الله أن يعجل بموته ..فيستريحوا من هذا المنظر المؤلم الرهيب .. أهله مشفقون عليه ينستعجلون الاماته فقلت : يانفسى أن لك يوما كهذا اليوم .. ولك ساعة كهذه الساعة .. فقدمى لهذا الموعد ... ما يجعل الأهل والخلان يبكون .. خوف الفراق .. ولا يبكون اشفاقا من الخوار والذبد .. فدعوت الله سبحانه وتعالى : « اللهم إنك سترتنى فى حياتى فاسترنى فى سكراتى » .

يقول الإمام الغزالى رحمه الله : لو لم يكن بين يدى ابن آدم .. سوى سكرات الموت لكان جديرا بأن لا يهنأ له عيش .. وحقيق بأن يطول فيه تأمله ويحسن له استعداده وتأهبه .

وقال بعض الحكماء : كرب بيد سواك .. لا تدرى متى يغشاك .

وقال لقمان لابنه : يابنى أمر لا تدرى متى يلقاك .. أستعد له قبل أن يفجأك .

وقال الإمام الغزالى : أعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها إلا من ذاقها .. ومن ذاقها فارقنا ولم يصفها لنا .. ومن لم يذقها فأنما يعرفها بالقياس على الآلام التى أدركها .. أو بالاستدلال بأحوال الموتى إذا شاهدها .

أما القياس : فبأن يعلم أن الآلام أنما يصل إلى الروح منها شيء قليل وأما الموت فهو ألم فى نفس الروح .. وشدته فى جميع الأعضاء .. فما أعظمه من ألم .

وأما الاستدلال بأحوال الموتى : ألم نرى إلى المحتضر وقد اشتد كربه وأنه لم ينقطع صياحه وصوته .. إلا لشدة ألمه وكربه .. وقد تصاعد إلى قلبه .. واستغرق جميع أعضائه .. فهد منه كل قوة فلم يبق له إلا الاستغاثة أما العقل فقد طغى عليه الألم .. واللسان : قد أبكمه .. وأما الأطراف قد أضعفها .. يود لو قدر على الاستراحة بالأنين – والصياح والاستغاثة . ولكنه لا يقدر على ذلك .. فإن بقيت منه من قوة .. سمعت له عند نزع الروح وجذبها ... خوارا .. وغرغرة .. فى حلقة وصدره .. وقد تغير لونه وأربد فتنتزع الروح من كل عرق من عروقه كل على حياله .. ثم يموت كل من أعضائه .. فتبرد أولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه .. ولكل عضو سكرة وحسرة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم وعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويغلق دونه باب التوبة .. لأن سيدنا رسول الله ﷺ قال : « **تقبل توبة العبد ما لم يغرغر** »[٩] .

---

(٩) الحديث : رواه الترمذى وابن ماجه .

أخى هذه نهاية الحياة الدنيا .. فى ساعة الرحيل .. فاحتر لنفسك ما تشاء ففى هذه الساعة .. التى هى ساعة الرحيل عن الدنيا .. والسفر إلى الآخرة .. ينقسم الناس فيها إلى فريقين ..

فأما الفريق الأول : وهم الذين آمنوا ثم اهتدوا وعملوا الصالحات .. فلما وافتهم ساعة الرحيل .. تنزلت عليهم الملائكة من السماء .. تواسيهم وتشد من أزرهم وتبشرهم فتقول لهم ﴿ **لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** ﴾ فهم فى رحمة الله تعالى التى وسعت كل شيء .. فى روح وريحان وجنة نعيم .

وأما الفريق الثانى : وهم الذين عاشوا فى هذه الحياة الدنيا .. ولم يقدموا لأنفسهم .. ولم يعملوا لقاء يومهم هذا .. واتبعوا هوى النفس وساروا وراء الشهوات .. وألهتهم زينة الحياة الدنيا عن ذكر الله ... فلما وافتهم ساعة الرحيل .. كانوا فى سكرات رهيبة .. وغمرات مؤلمة .. يجد نفسه وحيدا فريدا .. ولا يجد من يواسيه ولا من يشد من أزره .. حتى أهله الذين يضجون بالبكاء من حوله .. لا يبكون خوف فراقه ولكن يبكون اشفاقا عليه .. واستعجالا لموته .. فما بالك بمعاملة الملائكة له .. وهو العاصى لله الخارج عن أمره .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : كم شاهد الناس من هذا عبرا ... والذى يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم .

فإذا كان العبد فى حال حضور ذهنه وقوته .. قد تمكن منه الشيطان واستعمله فيما يغضب الله .. وقد أغفل قلبه عن ذكر الله تعالى .. فكيف الظن به عند سقوط قواه .. واشتغال قلبه ونفسه بما هو فيه من ألم النزع الأخير ؟ وقد جمع له الشيطان كل قوته وهمته .. لينال منه فرصته الأخيرة .. فإن ذلك آخر العمل .. فأقوى ما يكون عليه الشيطان فى ذلك الوقت .. وأضعف ما يكون هو فى تلك الحالة .. وهنا ﴿ **يثبت الله الذين** آمنوا **بالقول الثابت**

فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء ﴾[10] ..
فكيف يوفق بحسن الخاتمة .. من غفل قلبه ولسانه عن ذكر الله ؟ وأتبع هواه وكان أمره فرطا ؟ .. متعبد لهواه أسير لشهواته .. ولسانه يلبث عن ذكره واشتغل بمعصيته وكما قيل :

يآمنا مع قبح الفعل منه .. أهل ... آتاك توقيع آمن أنت تملكه ؟
جمعت شيئين آمنا واتباع هوى ... هذا وإحداهما فى المرأ تهلكه
فرطت فى الزرع وقت البذرمن سفه ... فكيف عند حصاد الناس تدركه
هذا وأعجب شىء فيه زهدك ... فى دار البقاء بعيش سوف تتركه

فهل يستوى ذلك المؤمن الذى استنار بنور الحق الإلهى .. واتخذ الرحمن خليلا وأنيسا .. بذلك الفاسق الذى اتخذ الشيطان خليلا وأنيسا فإذا تصبح بطلعته حياه .. وقال : فديت من قرين .. لا يفلح فى دنيا ولا فى آخره .. ثم يقول له كما قيل :

قرينك فى الدنيا وفى الحشر بعدها ... فأنت قرين لى بكل مكان
فإن كنت فى دار الشقاء فاننى ... وأنت جميعا فى شقاء وهوان

وقال تعالى : **﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين .. وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون .. حتى إذا جاءنا قال : ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾**[11] .

وقال سبحانه وتعالى : **﴿ فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة أنهم إتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾**[12] .

فهناك عباد أمنوا وأتقوا .. تتنزل عليهم الملائكة .. فى هذه اللحظات الحرجة .. تبشرهم وتشد من أزرهم وتواسيهم وتخفف عنهم . قال تعالى :

---

(١٠) سورة إبراهيم الآية : ٢٧ .
(١١) سورة الزخرف الآيات ٣٦ - ٣٨ .
(١٢) سورة الأعراف : ٣٠ .

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين أمنوا وكانوا يتقون .. لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾[١٣] .

وقال تعالى : **﴿ الذين أمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ﴾**[١٤] .

وقال تعالى : **﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون ﴾**[١٥] .

وهناك أخرون .. ينفطر القلب من هول ما هم فيه ومما يلقونه فى هذه الساعة المؤلمة الرهيبة .. فهم فى هول من الموت وفى كربه وغمراته .. يقول الحق سبحانه وتعالى : **﴿ أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا .. لا يستوون ﴾**[١٦].

فملك الموت ينزع الروح نزعا .. كما ينزع السفود من الصوف المبلول .. والروح تحاول الفرار منه .. وملائكة العذاب تكره الروح على الخروج .. وتتلقاهم بالاهانة .. فتضرب منهم الوجوه والأدبار فى قسوة بالغة ....

قال تعالى : **﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ﴾**[١٧] وقال تعالى : **﴿ ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات**

---

(١٣) سورة يونس الآيات ٦٢ إلى ٦٤ .
(١٤) سورة التوبة الآيات ٢٠ : ٢٢ .
(١٥) سورة فصلت الآية ٣٠ .
(١٦) سورة السجدة الآية : ١٨ .
(١٧) سورة الأنفال الآيتان : ٥٠ ، ٥١ .

الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن أياته تستكبرون ﴾[١٨] .

مشهد رهيب .. وقد كشف الله عنه الحجاب فى ساعة الرحيل .. فإذا به يرى الملائكة أمامه .. ملك الموت أسود الوجه .. منتن الريح .. قبيح المنظر .. يملأ أقسى القلوب رعبا وفزعا .. ينزع الروح انتزاعا .. بلا رحمة ولا هوادة وملائكة العذاب .. لا يمهلونه وإنما يزعجونه بطلب روحه .. وأيديهم تستعجل الإماته بالضرب والإهانة والإكراه .

شدة سكـــرات الموت :

روى أن سيدنا عيسى عليه السلام قال : يا معشر الحواريين أدعو الله تعالى أن يهون على هذه السكرة ، فقد خفت الموت مخافة أقوى من خوفى من الموت على الموت .

وروى أن نفرا من بنى إسرائيل مروا بمقبرة ، فقال بعضهم لبعض : لو دعوتم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسألونه ، فدعوا الله تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه أثر السجود ، قد خرج من قبر من القبور ، فقال : يا قوم ما أردتم منى ، لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبى .

وقال عائشة رضى الله عنها : لا أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله ﷺ .

وكان سيدنا رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم أنك تأخذ الروح من بين العصب والقلب والأنامل ، اللهم فأعنى على الموت وهونه على** »[١٩] .

---

(١٨) سورة الأنعام الآية : ٩٣ .

(١٩) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت وهو معضل .

وعن الحسن : أن رسول الله ﷺ ذكر الموت وغصته وألمه فقال : « **هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف** »[٢٠] .

وسئل ﷺ عن الموت وشدته فقال : « **إن أهون الموت بمنزلة حسكة فى صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف** » وقد سبق .

وقال شداد ابن أوس : الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالمناشير ، وقرض بالمقاريض ، وغلى بالقدور ، ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما أنتفعوا بعيش وما لذوا بنوم .

وعن زيد ابن أسلم عن أبيه قال : إذ بقى على المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجاته فى الجنة .

وإذا كان للكافر معروف لم يجزى به ، هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه ، فيصير إلى النار .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « **إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وأن مفاصله يسلم بعضها على بعض ، تقول عليك السلام تفارقنى وأفارقك إلى يوم القيامة** »[٢١] .

ويقول الإمام المحاسبى رضى الله عنه فى كتابه التوهم : فتوهم نفسك وقد صرعت للموت صرعة لا تقوم منها إلا إلى الحشر إلى ربك ، فتوهم نفسك فى نزع الموت وكربه وغصصه ، وسكراته وغمه وقلقه ، وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدماك ، فوجدت ألم جذبه من أسفل قدماك ، ثم تدرك الجذب واستحث النزع وجذبت الروح من جميع بدنك ، فنشطت من أسفلك متصاعدا إلى أعلاك حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه وعمت آلام الموت جميع جسمك ، وقلبك وجل محزون مرتقب منتظر للبشرى من الله عز

---

(٢٠) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا مرسلا ورجاله ثقات .

(٢١) كتاب التوهم ص ١ : ٣ .

وجل بالغضب أو الرضى ، وقد علمت أنه لا محيص دون أن تسمع إحدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك ، فبينا أنت فى كربك وغمك وألم الموت وسكراته وشدة حزنك لارتقابك لإحدى البشريين ، إذا نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأحسن صورة أو بأقبحها ، ونظرت إليه ماداً يداه إلى فيك ليقبض روحك من بدنك ، فذلت نفسك لما عاينت ذلك وعاينت وجه ملك الموت ، وتعلق قلبك بماذا يفاجأك من البشرى منه إذا سمعت صوته بنعمته أبشر ياولى الله برضى الله وثوابه أو أبشر ياعدو الله بغضبه وعقابه ، فتستيقن حينئذ بنجاتك وفوزك ويستقر الأمر فى قلبك وتطمئن إلى الله نفسك ، أو تستيقن بعطبك وهلاكك ويحل اليأس قلبك وينقطع من الله عز وجل رجاؤك وأملك .. فيلزم حينئذ غاية الهم والحزن .. أو الفرح والسـرور قلبك حين انقضت من الدنيا مدتك وانقطع منها أثارك وحملت إلى دار من سلف من الأمم قبلك

شدة الشيطان على الإنسان فى ساعة الرحيل ووجوب تلقين المحتضر :

فى حالة الاحتضار يكون الإنسان أضعف ما يكون فى حياته الدنيا كلها وفى نفس الوقت يكون الشيطان عليه أقوى وأشد ما يكون ، لأن هذه الساعة هى الساعة الأخيرة للعبد فى الحياة الدنيا وهى الفرصة الأخيرة أيضا أمام إبليس اللعين لغواية هذا العبد المحتضر واضلاله عن السبيل ، فيستعمل معه كل قوته وكل حيله ويستنفر عليه كل أعوانه ليشدوا عليه وهو فى منتهى الضعف فى كل شيء فهنا فى اللحظات الرهيبة المؤلمة ، وفى هذا الوقت العصيب يأتى إبليس اللعين فيتمثل أمام المحتضر ، ومعه شيطان آخر بصور والديه ، قيل أن : أحدهما يكون عن يمينه والآخر عن شماله .

فالذى عن يمينه يكون على صفة أبيه فيقول له : « يابنى أنى شفيقا ، ولك محبا ولكن مت على دين النصارى وهو خير الأديان » .

والذى عن شماله يكون على صورة أمه يقول له : « يابنى كان بطنى لك وعاء ، وثدى لك سقاء ، وفخذى لك وطاء ، ولكن مت على دين اليهود ، وهو خير الأديان » .

وذكر الإمام الغزالى : أن الشياطين يأتون المحتضر على صفة أبويه فى زى يهود ونصارى حتى يعرضوا عليه كل ملة .

وروى أن لابليس فتن كثيرة إذا أنه يأتى للمؤمن المحتضر فى حالة النزع بقربة خضراء فيها ماء بارد وهو فى كرب شديد ، وكبده قد أحترق من شدة العطش فيقول له اللعين « قل كذا وكذا حتى أسقيك – أى أنه يمنيه بالماء لأغوائه واضلاله ، ويتحول من جهة إلى أخرى ، ويريه الماء » فمن كان من أهل السعادة ثبته الله بالقول الثابت كما ذكرنا من قبل ، ومن كان من أهل الشقاء والتعاسه اتبع الشيطان .

وروى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : « **أحضروا موتاكم** ولقنوهم لا إله إلا الله ، وبشروهم بالجنة فإن الحليم من الرجال والنساء يتحير **عند ذلك المصرع وان الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصرع** »[٢٢]

ولهذا أوصى سيدنا رسول الله ﷺ بتلقين المحتضر بقول لا إله إلا الله .. فقال عليه الصلاة والسلام : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإنه ليس مسلم يقولها عند الموت إلا أنجته من النار »[٢٣] .

وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث آخر : « **من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة** »[٢٤] .

ولا يشدد عليه فى التلقين مخافة أن ينطق بكلام غير لائق ، ويقرأ عنده

(٢٢) الحديث : رواه أبو نعيم .
(٢٣) الحديث : أخرجه الجماعة إلا البخارى .
(٢٤) الحديث : رواه الإمام أحمد والحاكم .

من سورة الرعد وما تيسر من سورة (يسٓ) لقوله عليه الصلاة والسلام : « **اقرأوا على موتاكم يسٓ** » .

ويسن توجيه المحتضر إلى القبلة مضطجعا على شقه الأيمن متى أمكن ذلك وليقل من كان عنده خيرا لأن الملائكة يحضرون فى هذه الساعة ، ويؤمنون على ذلك .

فقد روى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرا ، فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون** » قالت : فلما مات أبو سلمة أتيت النبى فقلت : يارسول الله : « إن أبا سلمة قد مات » قال : قولى : « اللهم إغفر لى ، وأعقبنى منه عقبى حسنة » فقلت : « فأعقبنى الله منه خيرا لى منه محمد ﷺ »(٢٥) .

وفاة رسول الله ﷺ :

قال الإمام الغزالى رحمه الله :

أعلم أن فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيا وميتا ، وفعلا وقولا وجميع أحواله عبرة للناظرين ، وتبصرة للمستبصرين ، إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحبيبه ونجيه ، وكان صفيه ورسوله ونبيه . فأنظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته ؟

وهلى أخره لحظة بعد حضورة منيته ؟ لا بل أرسل إليه الملائكة الكرام الموكلين بقبض أرواح الأنام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان ، وخيرات حسان بل إلى مقعد صدق فى جوار الرحمن . فأشتد مع ذلك فى النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وأرتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه وأضطربت فى الانقباض والانبساط شماله ويمينه ، حتى بكى لمصرعه من حضر ، وأنتحب لشدة حاله

---

(٢٥) الحديث : رواه الإمام مسلم .

من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدوره ؟ وهل راقب الملك فيه أهلا وعشرا ؟ وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا ، وللخلق بشيرا ونذيرا ؟ هيهات ، بل أمتثل ما كان به مأمورا ، واتبع ما وجده فى اللوح مسطورا . فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالعجب أنا لانعتبر به ، ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات وقرناء المعاصى والسيئات فما بالنا لا نتعظ بمصرع محمد سيد المرسلين ، وأمام المتقين ، وحبيب رب العالمين ؟ لعلنا نظن أننا مخلدون ، أو نتوهم أنا مع سوء أفعالنا عند الله مكرمون ، هيهات هيهات ، بل نتيقن أنا جميعا على النار واردون ، ثم لا ينجو منها إلا المتقون . فنحن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لا بل ظلمنا أنفسنا إن كنا كذلك لغالب الظن منتظرين ، فما نحن والله من المتقين ، وقد قال الله رب العالمين : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** ﴾(٢٦) .

فلينظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المتقين فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين ، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ثم أنظر إلى سيد المرسلين ، فانه كان من أمره على يقين ، إذ كان سيد النبيين ، وقائد المتقين ، واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا ، وكيف أشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : دخلنا على رسول الله ﷺ فى بيت أمنا عائشة رضى الله عنها حين دنا الفراق ، فنظر إلينا فدمعت عيناه ﷺ ثم قال : ﴿ **مرحبا بكم حياكم الله ، آواكم الله ، نصركم الله ، وأوصيكم بتقوى الله وأوصى بكم الله انى لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله فى بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى**

---

(٢٦) سورة مريم : ٧١ -٧٢ .

وإلى الكأس الأوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل فى دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله ﴾[٢٧] .

وروى أنه ﷺ قال لجبريل عليه السلام عند موته : « **من لأمتى بعدى** » فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبى أنى لا أخذ له فى أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا ، وسيدهم إذا جمعوا ، فإن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته . قال : « **الآن قرت عينى** »[٢٨] .

وقالت عائشة رضى الله عنها أمرنا رسول الله ﷺ أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار . ففعلنا ذلك . فوجد راحة ، فخرج فصلى بالناس ، وأستغفر لأهل أحد . ودعا لهم ، وأوصى بالأنصار فقال : « **أما بعد يامعشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الأنصار على هيئتها التى هى عليها اليوم وإن الأنصار عيبتى التى آويت إليها فأكرموا كريمهم « يعنى محسنهم » وتجاوزوا عن مسيئهم ، ثم قال : إن عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله » فبكى أبو بكر رضى الله عنه وظن أنه يريد نفسه ، فقال النبى ﷺ : « على رسلك يا أبا بكر سدوا هذه الأبواب الشوارع فى المساجد إلا باب أبى بكر فإنى لا أعلم امرؤً أفضل عندى فى الصحبة من أبى بكر** »[٢٩] .

قالت عائشة رضى الله عنها : فقبض ﷺ فى بيتى ، وفى يومى ، وبين سحرى ونحرى وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت ، فدخل على أخى .. عبد الرحمن وبيده سواك ، فجعل ينظر إليه ، فعرفت أنه يعجبه ذلك ، فقلت له : آخذه لك ؟ فأومأ أى نعم ، فناولته إياه ، فأدخله فى فيه ، فأشتد عليه فقلت ألينه لك ؟ فأومأ برأسه أى نعم ، فلينته وكان بين يديه ركوة ماء ، فجعل يدخل فيها يده ويقول : « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات » ثم نصب يده يقول « الرفيق الأعلى الرفيق الأعلى » فقلت إذا والله لا يختارنا[٣٠] .

---

(٢٧) رواه الطبرانى فى الأوسط .
(٢٨) رواه الصبرانى من حديث جابر وابن عباس .
(٢٩) الحديث رواه الدرامى وهو ضعيف .
(٣٠) الحديث : متفق عليه .

وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال :

لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ ، يزداد ثقلا ، أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضى الله عنه على النبى ﷺ فأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل ، فأعلمه بمثل ذلك، ثم دخل عليه على رضى الله عنه فأعلمه بمثله ، فمد يده وقال : ها فتناولوه ، فقال : « ما تقولون ؟ » قالوا نقول : نخشى أن تموت ، وتصيح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبى ﷺ فثار رسول الله ﷺ فخرج متوكئا على على والفضل ، والعباس أمامه ورسول الله ﷺ معصوب الرأس يخط برجليه ، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثاب الناس إليه ، فحمد الله وأثنا عليه وقال : « **يأأيها الناس أنه بلغنى أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وتنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنعى إليكم أنفسكم ، هل خلد نبى قبلى فيمن بعث فأخلد فيكم ألا انى لاحق بربى وأنكم لاحقون به ، وإنى أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا ، وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله عز وجل قال : ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين** آمنوا ﴾ إلى آخرها « **وإن تجرى بأذن** الله **فلا يحملنكم استبطاء أمر على أستعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل** لعجل أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض . وتقطعوا أرحامكم ﴾ وأوصيكم بالأنصار خيراً فأنهم **الذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم الثمار ؟ ، ألم يوسعوا عليكم فى الديار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن وُلّى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ، ولا تسأثروا عليهم ، ألا وإنى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ألا وإن موعدكم الحوض حوضى أعرض مما بين بصرة الشام وصنعاء اليمن يصب فيه ميزاب الكوثر ماء أشد بياضا من اللبن وألين من الزبد وأحلى من الشهد من شرب منه لم يظمأ أبدا حصباؤه اللؤلؤ وبطحاؤه المسك من حرمه فى الموقف غدا حرم الخير كله ألا فمن أحب أن يرده علىّ غدا فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغى » فقال العباس : يانبى الله ، أوصى بقريش فقال : أنما أوصى بهذا الأمر قريشا والناس تبع لقريش برّهم لبرّهم وفاجرهم لفاجرهم ،**

فاستوصوا آل قريش بالناس خيرا ، يأيها الناس إن الذنوب تغير النعم وتبدل القسم، فإذا برَّ الناس برهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوهم قال الله تعالى : ﴿ وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾(٣١) .

وروى بن مسعود رضى الله تعالى عنه ، أن النبى ﷺ قال لأبى بكر رضى الله عنه : « سل يا أبا بكر : فقال : يارسول الله دنى الأجل ؟ فقال : « قد دنى الأجل ودلى » فقال : ليهنئك يانبى الله من عند الله ، فليت شعرى عن منقلبنا فقال : « إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى والحظ والعيش المهنى » فقال : يانبى الله ، من يلى غسلك ؟ قال : « رجال من أهل بيتى الأدنى فالأدنى » قال : ففيم نكفنك فقال : « فى ثيابى هذه وفى حلة يمنية وفى بياض مصر » فقال: كيف الصلاة عليك منا ؟ وبكينا وبكى – ثم قال : « مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا . غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم أخرجوا عنى ساعة فإن أول من يصلى على الله عز وجل **﴿ هو الذى يصلى عليكم وملائكته ﴾**(٣٢) ثم يؤذن للملائكة فى الصلاة على فأول من يدخل على من خلق الله ويصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعهم صلى الله عليهم أجمعين ثم أنتم فأدخلوا على أفواجا فصلوا على أفواجا زمرا زمرا وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتى الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان » قال : فمن يدخلك القبر ؟ قال : « زمر من أهل بيتى الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونها وهم يرونكم ، قوموا فأدوا عنى إلى من بعدى »(٣٣) .

وقال عائشة رضى الله عنها : فلما كان اليوم الذى مات فيه رسول الله ﷺ ، رأوا منه خفة فى أول النهار ، فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم

---

(٣١) سورة الأنعام الآية : ١٢٩ .

(٣٢) سورة الأحزاب الآية : ٤٣ .

(٣٣) الحديث : رواه ابن سعد فى الطبقات بإسناد ضعيف .

وحوائجهم مستبشرين ، وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء ، فبينا نحن على ذلك ، لم نكن على مثل حالنا فى الرجاء والفرح قبل ذلك ، قال رسول الله ﷺ : « **أخرجن عنى ، هذا الملك يستأذن على** » فخرج من فى البيت غيرى ، ورأسه فى حجرى ، فجلس وتنحيت فى جانب البيت فناجى الملك طويلا ، ثم أنه دعانى ، فأعاد رأسه فى حجرى ، وقال للنسوة « أدخلن » فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام . فقال رسول الله ﷺ : « **أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءنى فقال : إن الله عز وجل أرسلنى وأمرنى أن لا أدخل عليك إلا بأذن فإن لم تأذن لى أرجع وإن أذنت لى دخلت وأمرنى أن لا أقبضك حتى تأمرنى فماذا أمرك فقلت أكفف عنى حتى يأتينى جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل** » فقال عائشة رضى الله عنها : فاستقبلنا بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى ، فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة (الداهية) ما نحير إليه شيء ، وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبته ملأت أجوافنا قالت : وجاء جبريل فى ساعته ، فسلم فعرفت حسه ، وخرج أهل البيت ، فدخل فقال : إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك ؟ وهو أعلم بالذى تجد منك ، ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا ، وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة فى أمتك ، فقال : « أجدنى وجعا » فقال : أبشر ، فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما أعد لك ، فقال : « ياجبريل إن ملك الموت استأذن على » وأخبره الخبر فقال جبريل : يا محمد ، إن ربك إليك مشتاق ، ألم يعلمك الذى يريد بك ؟ لا والله ما أستأذن ملك الموت على أحد قط ، ولا يستأذن عليه أبدا ، إلا أن ربك يتم شرفك ، وهو إليك مشتاق ، قال : « فلا تبرح إذا حتى يجيء » وأذن للنساء فقال : « يافاطمة أدنى » فأكبت عليه ، فناجاها ، فعرفت رأسها وعيناها تدمع ، وما تطيق الكلام ، ثم قال : « أدنى منى رأسك » فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهى تضحك ، ولا تطيق الكلام ، فكان الذى رأينا منها عجبا ، فسألتها بعد ذلك فقالت : أخبرنى وقال : « أنى ميت اليوم » فبكيت ، ثم قال : أنى دعوت الله أن يلحقك بى فى أول أهلى وأن يعجلك معى » فضحكم وأدنت ابنيها منه ، فشمهما قالت : وجاء ملك الموت ، فسلم

واستأذن ، فأذن له فقال الملك : ما تأمرنى يا محمد ؟ قال : « ألحقنى بربى الآن » فقال : بلى من يومك هذا ، أما أن ربك إليك مشتاق ، ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهانى عن الدخول على أحد إلا بأذن غيرك ، ولكن ساعتك أمامك ، وخرج ، قالت : وجاء جبريل فقال : السلام عليك يارسول الله ، هذا اخر ما أنزل فيه إلى الأرض أبدا ، طوى الوحى وطويت الدنيا ، وما كان لى فيها حاجة غيرك ، وما لى فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفى ، والذى بعث محمدا بالحق ، ما فى البيت أحد يستطيع أن يحير إليه فى ذلك كلمة ، ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ، ووجدنا واشفاقنا ، قالت : فقمت إلى النبى ﷺ حتى أضع رأسه بين ثدى وأمسكت بصدره ، وجعل يغمى عليه حتى يغلب ، وجبهته ترشح رشحاً ما رأيته من إنسان قط ، فجعلت أسلت ذلك العرق ، وما وجدت رائحة شيء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق : بأبى أنت وأمى ونفسى وأهلى ما تلقى جبهتك من الرشح فقال : « يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقه كنفس الحمار » ، فعند ذلك ارتعنا ، وبعثنا إلى أهلنا فكان أول رجل جائنا ولم يشهده أخى ، بعثه إلى أبى ، فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيء أحد ، وأنما صدهم الله عنه لأن ولاه جبريل وميكائيل ، وجعل إذا أغمى عليه قال : « بل الرفيق الأعلى » كأن الخيرة تعاد عليه ، فإذا أطاق الكلام قال : « الصلاة الصلاة أنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة » كان يوصى بها حتى مات وهو يقول « **الصلاة الصلاة** »[٣٤] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة ، وسجى رسول الله ﷺ الملائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته ، وأخرس بعضهم فما تكلم إلا بعد البعد ، وخلط أخرون فلاثوا الكلام بغير كلام ، بقى آخرون معهم عقولهم ، وأقعد آخرون ، فكان عمر

---

(٣٤) رواه الطبرانى فى الكبير .

ابن الخطاب فيمن كذب بموته ، وعلى فيمن أقعد ، وعثمان فيمن أخرس ، فخرج عمر على الناس فكذب بموته ، وقال : أن رسول الله ﷺ لم يمت وليرجعنه الله عز وجل وليقطعن أيدى وأرجل من المنافقين يتمنون لرسول الله ﷺ الموت ، أنما واعده الله عز وجل كما واعد موسى ، وهو آتيكم – وفى رواية – أنه قال : ياأيها الناس كفوا ألسنتكم عن رسول الله فإنه لم يمت ، والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله ﷺ قد مات إلا علوته بسيفى هذا ، وأما على فانه أقعد يبرح فى البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به .

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت :

لما اجتمعوا لغسله قالوا : والله ما ندرى كيف نغسل رسول الله ﷺ ؟ أنجرده من ثيابه كما نصنع بموتانا ؟ أو نغسله بثيابه ؟ قالت : فأرس الله عليهم النوم ، حتى ما بقى منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائما ، ثم قال قائل : لا يدرى من هو : غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، فانتبهوا ففعلوا ذلك ، فغسل رسول الله ﷺ فى قيمصه حتى إذا فرغوا من غسله كفن ، وقال على كرم الله وجهه : أردنا خلع قميصه فنودينا : لا تخلعوا عن رسول الله ﷺ ثيابه ، فأقررناه ، فغسلناه فى قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ، ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو لم يبالغ فيه إلا قلب حتى نفرغ منه ، وأن معنا لحفيفا فى البيت كالريح الرخاء ، ويصوت بنا أرفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستكفون .

أخى هكذا كانت وفاة سيدنا رسول الله ﷺ وأنها لنا لعبرة وعظة توفى سيدنا رسول الله ﷺ بعد أن بلغ الأمانة ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وترك فى الناس ما أن تمسكوا به لا يضلوا أبدا ، كتاب الله وسنته ﷺ .

وفاة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : والخلفاء الراشدين من بعده :

لما احتضر أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ، روى أنه قال : انظروا ثوبى هذين ، فاغسلوهما وكفنونى بهما ، فإن الحى إلى الجديد أحوج من الميت .

وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها عند موته .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه   ربيع اليتامى عصمة للأرامل

فقال أبو بكر رضى الله عنه : ذاك رسول الله ﷺ ، ودخلوا عليه فقالوا : ألا ندعوا لك طبيبا ينظر إليك ؟ قال : نظر إلى طبيبى ، وقال : إنى فعال لما أريد . ودخل عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه يعوده ، فقال : ياأبا بكر ، أوصنا ، فقال : إن الله فاتح عليكم الدنيا ، فلا تأخذن منها إلا بلاغك وأعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو فى ذمة الله ، فلا تحقرن الله فى ذمته فيكبك فى النار على وجهك .

وروى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب فقال له : إنى أوصيك بوصية إن أنت قبلتها منى ، إن لله عز وجل حقا بالليل لا يقبله بالنهار ، إن لله عز وجل حقا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه فى الآخرة ، باتباعهم الحق فى الدنيا ، وثقل ذلك عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق أن يكون ثقيلا ، وإنما خفت موازين من خفت موازينه فى الآخرة ، باتباعهم الباطل ، وخفته عليهم فى الدنيا ، وحق لميزان يوضع فيه الباطل أن يكون خفيفا ، إنما نزلت آية الرجاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرجاء ليكون المؤمن راغبا راهبا ، فلا ترغب رغبة فتتمنى على الله ما ليس لك ، ولا ترهب فيها رهبة تلقى فيها ما بيدك .

إنما ذكر الله أهل النار بسوء أعمالهم .. ورد عليهم ما كان من حسن فإذا ذكرتهم قلت أنى : لأخشى أن أكون من هؤلاء .

وإنما ذكر أهل الجنة .. بأحسن أعمالهم .. لأنه تجاوز لهم عما كان من سيء .. فإذا ذكرتهم قلت : أى من أعمالهم أعمل ؟

فإن حفظت وصيتى .. فلا يكن غائب أحب إليك من الموت .. وهو نازل بك .. وإن ضيعت وصيتى .. فلا يكن غائب أكره إليك من الموت .. ولست تعجزه .

وقيل أنه لما احتضر رضى الله عنه : جاءت أم المؤمنين رضى الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى   إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فكشف عن وجه .. وقال .. ليس كذلك ولكن ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾[35] .

وروى أنه لما طعن الفاروق عمر رضى الله عنه .. وكان فى مرضه الذى مات فيه وقد استمر ثلاثة أيام .. قال ابن عمر رضى الله عنهما : كان عمر فى حجرى فقال : ضع خدى على الأرض .. فقلت : وما عليك .. كان فى حجرى أم على الأرض . وظننت أن ذلك تبرم منه أفعل .. فقال : ضع خدى بالأرض لا أم لك .. ويل أمى إن لم يرحمنى ربى .

وروى أنه – رضى الله عنه لما طعن – وحمل إلى بيته .. وجاء الناس يثنون عليه جاءه شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين .. ببشرى الله لك صحبة من رسول الله ﷺ .. وقدم فى الإسلام ما قد علمت ثم وليت فعدلت ثم شهادة .. فقال : وددت أن ذلك كان كفافا لى لا على ولا لى .

ظل عمر رضى الله عنه طوال هذه الأيام الثلاثة .. يدير شئون المسلمين ويدير شئون الأمبراطورية الإسلامية .. حتى قبض .

وقيل أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. قال هذه الأبيات فى آخر حجة له :

---

(٣٥) سورة ق الآية : ١٩ .

لا شىء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه والخلد قد حولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له والجن والإنس فما بينها ترددوا
أين الملوك التى كانت لعزتها من كل أوب وافد يفـــد
حوض هنالك مورود بلا كذب لابد من ورده يوما كما وردوا

وروى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه قال : أتيت أخى عثمان وهو محصور .. فدخلت عليه .. فقال : مرحبا يا أخى .. رأيت رسول الله ﷺ فى هذه الخوخة الليلة .. وهى خوخة فى البيت – فقال : يا عثمان حصروك ؟ قلت : نعم .. قال عطشوك ؟ قلت : نعم .. فأدلى إلى دلوا فيه ماء .. فشربت منه حتى رويت .. حتى إنى لأجد برده بين ثدى وكتفى .. وقال لى : إن شئت نصرت عليهم ، وإن شئت أفطرت عندنا .. فأخترت أن أفطر عندهم .. فقتل فى ذلك اليوم رضى الله عنه .

روى أنه لما كانت الليلة التى أصيب فيها الإمام على كرم الله وجهه ورضى الله عنه آتاه ابن التياح .. حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو متثاقل فى رقدته .. فعاد إليه الثانية يؤذنه بالصلاة .. ثم عاد إليه الثالثة .. فقام الإمام يمشى وهو يقول :

أشدد حيازمك للمـــوت فإن الموت لا قيكـــا
ولا تجـــزع من المـــوت إن حـــل بواديـــك

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه بن ملجم .. فضربه بالسيف فى جبهته فقال : فزت ورب الكعبة .. أى فاز بالشهادة فى سبيل الله – فهم أناس عشقوا لقاء الله عز وجل .

أقوال بعض الصالحين فى سكرات الموت :

روى أنه لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال : أقعدونى فأقعدوه فجعل يذكر الله ويسبحه ثم بكى .. وقال : تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم

والانحطام ألا كان هذا وغصن الشباب نضر .. وبكى حتى علا بكاؤه .. وقال : يارب أرحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسى .. اللهم أقل العسرة .. وأغفر الذلة .. وأعد بحلمك على من لا يرجو غيرك .. ولم يثق بأحد سواك .

وروى أنه لما حضرت معاذ بن جبل الوفاة .. قال : اللهم أنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك .. اللهم أنك تعلم أنّى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار وغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر .. ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالرُكب .

وروى أنه لما حضرت الحسن بن على رضى الله عنهما الوفاة .. دخل عليه أخوه الحسين رضى الله عنه فقال له : ياأخى لأى شىء تجزع .. تقدم على رسول الله ﷺ وعلى على بن أبى طالب وهما أبواك .. وعلى خديجة وفاطمة وهما أماك .. وعلى حمزة وجعفر وهما عماك .. قال : يا أخى أقدم على أمر لم أقدم على مثله .

وروى عن محمد بن الحسين رضى الله عنهما قال : لما نزل القوم بالحسين رضى الله عنه وأيقن أنهم قاتلوه .. قام فى أصحابه خطيبا .. فحمد الله وأثنى عليه .. ثم قال : قد نزل من الأمر ما ترون .. وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها .. وانشمرت حتى لم يبق منها كصبابة الإناء .. ألا حسبى من عيش كالمرعى الوبيل .. ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه .. ليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى .. وأنى لا أرى الموت إلا سعادة .. والحياة مع الظالمين إلا جرما .

وروى أنه لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة .. قال له : ابنه : يا أبتاه انك كنت تقول : ياليتنى ألقى رجلا عاقلا لبيبا .. عند نزول الموت حتى يصف لى ما يجد .. وأنت ياأبتى هذا الرجل .. فصف لى الموت .. فيقول عمرو : وهو يعالج سكرات الموت : والله يابنى كأن جسمى فى جب من نار .. وكأنى أتنفس من خرم أبره .. وكأن روحى غصن شوك يجذب من قدمى إلى رأسى ..

وقال بعض الصالحين :

يامن تقدم جده وأبـوه ... وصديقه سكن الثرى وأخوه
ألا أتيت قبورهم فسألتها ... عنهم وعن ما فى القبور لقوه
فلتخبرنك أن أحكام البلى ... تجرى عليهم منذ هم وطنوه
ولتخبرنك أنهم وجدوا الذى ... عملوه مكتوبا كما عملوه

وروي أنه لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة ، نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبا بيده ، ثم يضرب به المغسلة ، فقال عبد الملك ليتنى كنت غسالا آكل من كسب يدى يوما بيوم ، ولم أل من أمر الدنيا شيئا ، فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه ، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه .

وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه : كيف تجدك ياأمير المؤمنين ؟ قال : أجدنى كما قال الله تعالى : ﴿ **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم** ﴾(٣٦) قال ذلك ومات .

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ، زوجة عمر بن عبد العزيز: كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول : اللهم اخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذى قبض فيه ، خرجت من عنده ، فجلست فى بيت آخر بينى وبينه باب ، وهو فى قبة له ، فسمعته يقول : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين** ﴾(٣٧) .. ثم هدأ فجعلت لا أسمع له حركة ولا كلاما ، فقلت : لوصيف له ، أنظر أنائم هو ، فلما دخل صاح ، فوثبت فإذا هو ميت .

---

(٣٦) الأنعام الآية : ٩٤ (٣٧) القصص الآية : ٨٣ .

وقيل له لما حضره الموت : أعهد ياأمير المؤمنين ؟ قال .أحذركم مثل مصرعى هذا ، فإنه لابد لكم منه .

وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز .. دعى له طبيب .. فلما نظر إليه قال : أرى الرجل قد سقى السم .. ولا آمن عليه الموت .. فرفع عمر بصره وقال : ولا تأمن من الموت أيضا على من لم يسق السم .. قال الطبيب : هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى .. قال : فتعالج ياأمير المؤمنين .. فإنى أخاف أن تذهب نفسك قال : ربى خير مذهوب إليه .. والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى ما رفعت يدى إلى أذنى فتناولته .. اللهم عجل لعمر فى لقائك .. فلم يلبث أياما إلا مات .

وقيل لما حضرته الوفاة بكى .. فقيل له : ما يبكيك ياأمير المؤمنين ؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننا ، فأظهر بك عدلا ، فبكى ثم قال : أليس أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق ؟ فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدى الله ، إلا أن يلقنها الله حجتها فكيف بكثير مما ضيعنا ، وفاضت عيناه ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات .

وقيل أنه لما اقترب وقت موته قال : أجلسونى .. فأجلسوه فقال : أنا الذى أمرتنى فقصرت ، ونهيتنى فعصيت ، ثلاث مرات ، ولكن لا إله إلا الله ، ثم رفع رأسه فأحد النظر فقيل له فى ذلك ، فقال : أنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن ثم قبض رحمه الله .

ولما حضرت سلمان الفارسى رضى الله عنه .. الوفاة فقيل له ما يبكيك ؟ قال : ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا – الكفاف من العيش – كزاد الراكب ، فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهما .

ولما حضرت بلال رضى الله عنه الوفاة قالت إمرأته : واحزناه .. فقال : واطرباه غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه ..

وقال الجريرى كنت عند الجنيد فى حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم النيروز وهو يقرأ القرآن ، فختم فقلت له فى هذه الحالة يا أبا القاسم ؟ فقال : ومن أولى بذلك منى ، وهو ذا تطوى صحيفتى .

وكان أبو سعيد الخراز يقول لما حضرته الوفاة :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر — وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كؤوس للمنيا عليهم — فأغفو عن الدنيا كاغفاء ذى الشكر
همومهم جوالة بمعسكر — به أهل ود الله كالأنجم الزهر
فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه — وأرواحهم فى الحجب نحو العلا
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم — وما عرجوا من مس بؤس ولا ضر

وقال الجنيد : دخلت على سرى السقطى أعوده فى مرض موته ، فقلت : كيف تجدك ؟ فأنشأ يقول :

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى — والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة لأروحه فقال : كيف تجد ريح المروحة من جوفه يحترق ثم أنشأ يقول :

القلب محترق ، والدمع مستبق — والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له — مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب أن يك شىء لى فيه فرج — فأمنن على به ما دام بى رمق

وروى أن الشبلى رضى الله عنه .. دخل عليه جماعة من أصحابه وهو فى الموت ، فقالوا له : قل لا إله إلا الله .. فأنشأ يقول :

إن بيتا أنت ساكنه — غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا — يوم يأتى الناس بالحجج

لا أتاح الله لى فرجــا يوم أدعــو منك بالفــرج

وروى أن المزنى دخل على الإمام الشافعى رحمة الله عليهما فى مرضه الذى مات فيه فقال له : كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال : أصبحت من الدنيا راحلا ، وللإخوان مفارقا ، ولسوء عملى ملاقيا ، ولكأس المنية شاربا ، وعلى الله تعالى واردا ، ولا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ... ولما حضرت يوسف بن أسباط الوفاة ، شهده حذيفة فوجده قلقا فقال : يا أبا محمد هذا أوان القلق والجزع ؟ فقال : يا أبا عبد الله وكيف لا أقلق ولا أجزع وأنى لا أعلم أنى صدقت الله فى شىء من عملى فقال حذيفة واعجباه لهذا الرجل الصالح ، يحلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله فى شىء من عمله .

وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود رضى الله عنهما وهو فى مرض موته من آخر الليل .. قم فأنظر أى ساعة هى فقام ابن مسعود .. ثم جاءه فقال قد طلعت الحمراء .. فقال حذيفة : أعوذ بالله من صباح إلى النار .

ودخل مروان على أبى هريرة .. فقال مروان : اللهم خفف عنه .. فقال أبو هريرة : اللهم أشدد .. ثم بكى أبو هريرة وقال : والله ما أبكى حزنا للدنيا ولا جزعا من فراقكم .. ولكن انتظر احدى البشريين من ربى بجنة أم بنار .

وروى عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن الله إذا رضى عن عبد قال : يا ملك الموت أذهب إلى فلان فآتنى بروحه لاريحه حسبى من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب ، فينزل ملك الموت ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الريحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يبشره ببشارة سوى بشارة صاحبه ، وتقوم الملائكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فإذا نظر إليهم أبليس وضع يده على رأسه ثم صرخ « قال » فيقول له جنوده : مالك يا سيدنا فيقول : أما ترون ما أعطى هذا العبد**

من الكرامة أين كنتم من هذا ؟ قالوا قد جهدنا به فكان معصوما »[٣٨] .

وقال الحسن رضى الله عنه : لا راحة للمؤمن إلا فى لقاء الله ومن كانت راحته فى لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره ، وفرحه ، وأمنه وعزه وشرفه .

وروى الإمام أحمد عن البراء بن عازب رضى الله عنهما .. حديثا لسيدنا رسول الله ﷺ .. يصف فيه لنا ساعة الرحيل عن عالم الشهادة إلى أول منزل من منازل عالم الغيب .. يصف لنا سكرات الموت وغمراته .

فيقول البراء بن عازب رضى الله عنه : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار .. فأنتهينا إلى القبر . ولما يلحد .. فجلس رسول الله ﷺ .. وجلسنا حوله كأنا على رؤوسنا الطير .. وفى يده عود ينكت به فى الأرض فرفع رأسه فقال : « أستعيذوا بالله من عذاب القبر – مرتين أو ثلاث – ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة .. نزل ملائكة من السماء .. بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسون منه مد البصر .. ثم يجيء ملك الموت » ، حتى يجلس عند رأسه فيقول : « أخرجى أيتها النفس المطمئنة ، أخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها ، لم يدعوها فى يده طرفة عين ، حتى يأخذونها فيجعلونها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيبة ؟ فيقولون : روح فلان ابن فلان . بأحسن الأسماء التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهون إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له – أبواب السماء – فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة ، فيقول

---

(٣٨) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت بإسناد ضعيف .

الله عز وجل : أكتبوا كتاب عبدى فى عليين ، وأعيدوه إلى الأرض ، فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فتعاد روحه إلى الأرض . فيأتيه ملكان ، فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربى الله عز وجل ، فيقولان له : وما دينك ؟ فيقول : دينى الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ فيقول : محمد رسول الله ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله عز وجل فامنت به وصدقت ، فينادى مناد من السماء ، أن صدق عبدى ، فأفرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وأفتحوا له بابا إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها ، وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره ، قال : ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : ربى أقم الساعة ، ربى أقم الساعة ، حتى أرجع إلى أهلى ومالى .

ثم قال : وأن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء ، سود الوجوه ، معهم المسوح ، والمسوح هى خرق باليه مهلهلة سوداء اللون - فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، فيقول : ياأيتها النفس الخبيثة ، أخرجى إلى سخط من رَبك ، وغضبه ، قال : فتفرق فى جسده ، فينتزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها ، كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيثة ؟ فيقولون : روح فلان بن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح له - أبواب السماء - فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون

الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط﴾[٣٠] فيقول الله عز وجل : أكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحا ، ثم قرأ قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى سحيق ﴾[٤٠] .

فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك؟ فيقول : ها ، ها ، لا أدرى ، فيقولان له : ما دينك ؟؟ فيقول : ها .. ها .. لا أدرى ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم ، فيقول : ها .. ها لا أدرى ، فينادى مناد من السماء ، أن كذب عبدى ، فأفرشوا له من النار ، وأفتحوا له بابا إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها ... ويضيق عليه قبره ، حتى تختلف فيه أضلاعه ، ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح فيقول له : أبشر بالذى يسوءك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذى يجىء بالشر ، فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة » .

ويروى لنا الإمام أحمد رضى الله عنه من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه .. قال : البراء : بينما نحن مع رسول الله ﷺ .. إذ بصر بجماعة .. فقال : « علام اجتمع هؤلاء ؟ قيل : على قبر يحفرونه .. ففزع رسول الله ... فبدر بين يدى أصحابه مسرعا حتى انتهى إلى القبر فجثا على ركبتيه .. فاستقبله من بين يديه لأنظر ما يصنع .. فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم أقبل علينا .. أى إخوانى لمثل هذا اليوم فأعدوا » .

يقول الحق سبحانه وتعالى — فى سورة النحل : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم

---

(٣٩) سورة الأعراف الآية : ٤٠ .

(٤٠) سورة الحج الآية : ٣١ .

بما كنتم تعملون ، فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : فى نفس السورة : ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ .**

أخى : هذه نهاية السابقين أمام عينيك ... فاختر لنفسك منها ما تشاء .. وأى النهايات لنفسك تفضل فأعمل لها ...

هذا طريق الشيطان والهوى   وهذا طريق النور والضياء
فاختر لنفسك يا أخى   أى الطريقين منهما تشاء
ولا تبكى على مصيبة أبدا   أنما على الذنب البكاء
ولا تحسبن أنك فيها خالد   فلله الخلد وله البقاء
ولا تهن النفس فى الدنيا   فله الملك يعطى من يشاء
فإذا أغلقت دونك أبوابه   فمن يغدق عليك العطاء ؟
أتدرى إذا ما جن ليل   أتصبح أم يكون عليك العواء ؟
وإذا ما أصبحت يوما   فمن يضمن لك المساء ؟
فلا تحزن وأضرع إليه   سميع لا يخيب لديه الرجاء
وتب إليه يا أخى واستغفر   فأنه غفار لمن يشاء

غسل الميت

أحكام الغســـل :

١ – **حكمه** : يرى جمهور العلماء أن غسل الميت المسلم فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن جميع المكلفين ، لأمر رسول الله ﷺ به ، ولمحافظة المسلمين عليه .

٢ – **من يجب غسله ومن لا يجب** : يجب غسل الميت المسلم الذى لم يقتل فى معركة بأيدى الكفار .

٣ – **غسل بعض الميت** : واختلف الفقهاء فى غسل بعض الميت المسلم ، فذهب الشافعى وأحمد وابن حزم إلى أنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ، قال الشافعى : بلغنا أن طائرا ألقى يدا بمكة فى وقعة الجمل ، فعرفوها بالخاتم فغسلوها ، وصلوا عليها وكان ذلك بمحضر من الصحابة وقال أحمد : صلى أبو أيوب على رجل ، وصلى عمر على عظام . وقال ابن حزم : ويصلى على ما وجد من الميت المسلم ، ويغسل ، ويكفن إلا أن يكون من شهيد ، قال : وينوى بالصلاة على ما وجد منه ، الصلاة على جميعه : جسده وروحه .

وقال أبو حنيفة ، ومالك : إن وجد أكثر من نصفه غسل وصلى عليه وإلا فلا غسل ولا صلاة .

٤ – **الشهيد لا يغسل** : الشهيد الذى قتل بأيدى الكفرة فى المعركة لا يغسل ولو كان جنبا ، ويكفن فى ثيابه الصالحة للكفن ، ويدفن فى دمائه ولا يغسل شىء منها ، روى الإمام أحمد : أن رسول الله ﷺ قال : « **لا تغسلوهم فإن كل جرح ، أو كل دم يفوح مسكا يوم القيامة** » ،

« وأمر عليه الصلاة والسلام بدفن شهداء أحد فى دمائهم ، ولم يغسلوا ولم يصلى عليهم »[٤١] .

صفـــة الغســـل :

الواجب فى غسل الميت أن يعمم بدنه بالماء مرة واحدة ولو كان جنباً أو حائضا والمستحب فى ذلك أن يوضع الميت فوق مكان مرتفع ويجرد من ثيابه ، ويوضع عليه ساتر يستر عورته ، ما لم يكن صبيا ، ولا يحضر عند الغسل إلا من تدعو الحاجة إلى حضوره ، وينبغى أن يكون الغاسل أمينا صالحا ، لينشر ما يراه من الخير ويستر ما يظهر من الشر فعند ابن ماجة : أن رسول الله ﷺ قال : « **ليغسل موتاكم المأمونون** » .

وتجب النية عليه ، لأنه هو المخاطب بالغسل ، ثم يبدأ فيعصر بطنه عصرا رفيقا ، لإخراج ما عسى يكون بها ، ويزيل ما على بدنه من نجاسة على أن يلف على يده خرقة يمسح بها عورته فإن لمس العورة حرام .

ثم يوضئه وضوء الصلاة ، لقول رسول الله ﷺ : « **ابدأ بميامنها ومواضع الوضوء منها** » ولتجديد سمة المؤمنين فى ظهور أثر الغرة والتحجيل ، ثم يغسله ثلاثا بالماء والصابون ، أو الماء القراح ، مبتدئا باليمين ، فإن رأى الزيادة على الثلاث بعدم حصول الانقاء بها أو لشيء آخر غسله خمسا أو سبعا ففى الصحيح : أن رسول الله ﷺ قال : « **اغسلنها وترا : ثلاثا أو خمسا أو سبعا ، أو أكثر من ذلك إن رأيتن** » .

فإذا كان الميت امرأة ندب نقض شعرها وغسل وأعيد تضفيره وأرسل خلفها ، ففى حديث أم عطية : أنهن جعلن رأس ابنة النبى ﷺ ثلاثة قرون ، قلت : نقضنه وجعلنه ثلاثة قرون ؟ قالت : نعم .

فإذا فرغ من غسل الميت جفف بدنه بثوب نظيف ، لئلا تبتل أكفانه ،

---

(٤١) كتاب فقه السنة : ج ٤ .

ووضع عليه الطيب ، قال رسول الله ﷺ : « **إذا أجمرتم الميت فأوتروا** » أجمرتم : أى بخرتم – هذا الحديث رواه البيهقى والحاكم .

الكفــــن :

١ – **حكمه** : تكفين الميت فيما يستره ولو كان ثوبا واحدا فرض كفاية ، روى البخارى عن خباب رضى الله عنه قال : **هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجه الله ، فوقع أجرنا على الله ، فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئا ، منهم مصعب بن عمير ، قتل يوم أحد فلم نجد ما نكفنه إلا بردة ، إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه ، فأمرنا النبى ﷺ أن نغطى رأسه وأن نجعل على رجليه من الأذخر** (حشيشة طيبة الراحة) .

٢ – **ما يستحب فيه** : يستحب فى الكفن ما يأتى :

أن يكون حسنا نظيفا ساترا للبدن ، لما رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه عن أبى قتادة أن النبى ﷺ قال : « **إذا ولى أحدكم أخاه فليحسن كفنه** » .

أن يكون أبيض ، لما رواه أحمد والترمذى وصححه عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « **ألبسوا من ثيابكم البيض فإنها من خير ثيابكم ، وكفنوا فيها موتاكم** » .

أن يجمر ، ويبخر ، ويطيب ، لما رواه أحمد والحاكم وصححه عن جابر أن النبى ﷺ قال : « **إذا أجمرتم الميت فأجمروه ثلاثاً** » .

أن يكون ثلاث لفائف للرجل ، وخمس لفائف للمرأة ، لما رواه الجماعة عن عائشة قالت : كفن رسول الله ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ، جدد ، ليس فيها قميص ولا عمامة . قال الترمذى : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم .

وقال سفيان الثورى : يكفن الرجل فى ثلاثة أثواب ، إن شئت فى قميص ولفافتين وإن شئت فى ثلاث لفائف ، وهو قول الشافعى وأحمد وإسحق ، وقالوا تكفن المرأة فى خمسة أثواب .

وعن أم عطية أن النبى ﷺ ناولها : ازارا ودرعا (القميص) وخمارا (غطاء الرأس) وثوبين .

تكفين المحـــرم :

إذا مات المحرم غسل كما يغسل غيره ، ممن ليس محرما وكفن فى ثياب أحرامه ولا تغطى رأسه ، ولا يطيب لبقاء حكم الإحرام ، لما رواه الجماعة عن ابن عباس قال : بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته (أى قتلته) ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : « **أغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه فى ثوبيه ، ولا تحنطوه ، ولا تخمروا رأسه ، فإن الله تعالى يبعثه يوم القيامة ملبيا** » . وذهبت الحنفية والمالكية إلى أن المحرم إذا مات انقطع إحرامه ، وبانقطاع إحرامه يكفن كالحلال ، فيخاط كفنه ، ويغطى رأسه ويطيب ، وقالوا : إن قصة هذا الرجل واقعة عين لا عموم لها فتختص به ، ولكن التعليل بأنه يبعث يوم القيامة ملبيا ظاهر أن هذا عام فى كل محرم ، والأصل أن ما ثبت لأحد الأفراد من الأحكام يثبت لغيره ما لم يقم دليل على التخصيص .

الكفن من الحرير : لا يحل للرجل أن يكفن فى الحرير ، ويحل ذلك للمرأة لقول رسول الله ﷺ فى الحرير والذهب : « **إنهما حرام على ذكور أمتى حل لإناثها** » وذلك على أن يكون الكفن من مال الميت ، فإن لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته ، وإن لم يكن له من ينفق عليه كفن من بيت المال ، وإلا فعلى المسلمين .

الصلاة على الميت :

حكمها :

من المتفق عليه بين أئمة الفقه ، أن الصلاة على الميت ، فرض كفاية لأمر رسول الله ﷺ بها ، روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين فيسأل : هل ترك لدينه فضلا ؟ فإن حدث أنه ترك وفاء صلى ، وإلا قال للمسلمين « صلوا على صاحبكم » .

فضلها :

روى الجماعة عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « **من تبع جنازة وصلى عليها ، فله قيراط ، ومن تبعها حتى يفرغ منها فله قيراطان أصغرهما مثل أحد ، أو أحدهما مثل أحد** » .

وروى مسلم عن خباب رضى الله عنه قال : ياعبد الله ابن عمر ، ألا تسمع ما يقول أبو هريرة ؟ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **من خرج مع جنازة من بيتها ، وصلى عليها ، ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع ، كان له مثل أحد** » فأرسل ابن عمر رضى الله عنهما خبابا إلى عائشة يسألها عن قول أبى هريرة ، ثم يرجع إليه فيخبره ما قالت ، فقال : قالت عائشة : صدق أبو هريرة ، فقال ابن عمر رضى الله عنهما لقد فرطنا فى قراريط كثيرة .

شروطها :

صلاة الجنازة يتناولها لفظ صلاة ، فيشترط فيها الشروط التى تفرض فى سائر الصلوات المكتوبة من الطهارة الحقيقية ، والطهارة من الحدث الأكبر والأصغر واستقبال القبلة ، وستر العورة ، وروى مالك عن نافع أن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما كان يقول : لا يصلى الرجل على الجنازة إلا وهو طاهر .

أركانهـــا :

صلاة الجنازة لها أركان تتركب منها حقيقتها ولو ترك منها ركن بطلت ووقعت غير معتد بها شرعا ، ونذكرها فيما يلى :

النية : لقول الله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ وقول رسول الله ﷺ : « **أنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل إمرىء ما نوى** » ، والمعروف شرعا أن النية محلها القلب ولا يجوز التلفظ بها .

القيام للقادر عليه : وهو ركن جمهور العلماء ، فلا تصح الصلاة على الميت لمن صلى عليه راكبا أو قاعدا بغير عذر .

التكبيرات الأربع : لما روى البخارى ومسلم عن جابر أن النبى ﷺ صلى على النجاشى فكبر أربعا ، قال الترمذي : العمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم يرون التكبير على الجنازة أربع تكبيرات ، وهو قول سفيان ومالك ، وابن المبارك والشافعى وأحمد .

والسنة عدم رفع اليدين فى صلاة الجنازة إلا فى أول تكبيرة فقط ، لأنه لم يأت عن النبى ﷺ أنه رفع فى شىء إلا فى أول تكبيرة فقط .

قراءة الفاتحة سرا والصلاة والسلام على الرسول : لما رواه الشافعى فى مسنده عن أبى أمامة ابن سهل : أنه أخبره رجل من أصحاب النبى ﷺ « **أن السنة فى الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرا فى نفسه ، ثم يصلى على النبى ﷺ ويخلص الدعاء فى الجنازة ، فى التكبيرات ، ولا يقرأ فى شىء منهن ثم يسلم سرا فى نفسه** .

الدعـــاء : وهو ركن باتفاق الفقهاء ، لقول رسول الله ﷺ : « **إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء** » رواه أبو داود والبيهقى .

ويتحقق بأى دعاء مهما قل ، والمستحب فيه أن يدعو بأية دعـــوة من الدعوات المأثورة الآتية : قال أبو هريرة : دعا رسول الله ﷺ فى الصلاة

على الجنازة فقال : « **اللهم أنت ربها ، وأنت خلقتها ، وأنت رزقتها ، وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت روحها ، وأنت أعلم بسرها وعلانيتها ، جئنا شفعاء لها ، فأغفر له ذنبه** » .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « **اللهم ان فلان ابن فلان فى ذمتك وحبل جوارك (العهد) فقه فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق ، اللهم فأغفر له وأرحمه فإنك أنت الغفور الرحيم** » رواهما أحمد وأبو داود .

عن عوف ابن مالك قال : سمعت رسول الله ﷺ – وقد صلى على جنازة – يقول : « **اللهم اغفر له ، وارحمه وأعف عنه ، وعافه وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بماء وثلج ، وبرد ، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وأهلا خيرا من أهله ، وزوجا خيرا من زوجه ، وقه فتنة القبر وعذاب النار** » رواه الإمام مسلم .

وعن أبى هريرة قال : صلى رسول الله ﷺ على جنازة فقال : « **اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا ، وشاهدنا ، وغائبنا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تضلنا بعده** » رواه أحمد وأصحاب السنن .

الدعاء بعد التكبيرة الرابعة :

يستحب الدعاء بعد التكبيرة الرابعة ، وإن كان المصلى دعا بعد التكبيرة الثالثة ، لما رواه أحمد عن عبد الله بن أبى أوفى أنه ماتت له ابنه فكبر عليها أربعا ، ثم قام بعد الرابعة قدر ما بين التكبيرتين يدعو ثم قال : كان رسول الله ﷺ يصنع فى الجنازة هكذا ، وقال الشافعى : يقول بعدها **اللهم لا تحرمنا أجره ، ولا تفتنا بعده** . وقال ابن أبى هريرة : كان المتقدمون يقولون بعد الرابعة : **اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** .

السلام : وهو متفق فى فرضيته بين الفقهاء ما عدا أبا حنيفة فقال: بأن التسليمتين يمينا وشمالا واجبتان وليستا ركنين .

كيفية الصلاة على الجنازة :

أن يقف المصلى بعد استكمال شروط الصلاة ناوياً الصلاة على من حضر من الموتى رافعا يديه مع تكبيرة الإحرام ، ثم يضع يده اليمنى على اليسرى ويشرع فى قراءة الفاتحة ، ثم يكبر ويصلى على النبى ، ثم يكبر ويدعو للميت ، ثم يكبر ويدعو ، ثم يسلم .

موقف الإمام من الرجل والمرأة :

من السنة أن يقوم الإمام حذاء رأس الرجل ، ووسط المرأة ، لحديث أنس : **أنه صلى على جنازة رجل ، فقام عند رأسه ، فلما رفعت ، أتى بجنازة امرأة ، فصلى عليها فقام وسطها ، فسئل عن ذلك ، وقيل له : هكذا كان رسول الله ﷺ يقوم من الرجل حيث قمت ، ومن المرأة حيث قمت ؟ قال نعم** . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى .

يستحب الصفوف الثلاثة : يستحب أن يصف المصلون على الجنازة ثلاثة صفوف وأن تكون مستوية ، لما رواه مالك بن هبيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مؤمن يموت فيصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا ثلاثة صفوف ، إلا غفر له ، فكان مالك ابن هبيرة يتحرى إذا قل أهل الجنازة أن يجعلهم ثلاثة صفوف** » رواه أحمد والترمذى .

ويستحب تكثير جماعة الجنازة ، لما جاء عن عائشة : أن النبى ﷺ قال : « **ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة ، كلهم يشفعون له ، إلا شفعوا** » رواه مسلم وأحمد .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **ما من رجل مسلم يموت ، فيقوم على جنازته أربعون رجلا ، لا يشركون بالله شيئا ، إلا شفعهم الله فيه** » رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

حمـــل الجنـــازة والسير بها :

يشرع تشيع الجنازة وحملها وعن أبى سعيد : أن النبى ﷺ قال : « **عودوا المريض ، وامشوا مع الجنازة تذكركم الآخرة** » رواه أحمد ورجال ثقات .

وقد تقدم ذكر الثواب الذى يناله المشيعون للجنازة والمصلون عليها .

كما يستحب الإسراع بالجنازة لما رواه الجماعة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **أسرعوا بالجنازة ، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم** » .

ما يكره مع الجنازة : يكره فى الجنازة الإتيان بفعل من الأفعال الآتية :

١ – **رفع الصوت** : بذكر أو قراءة ، أو غير ذلك ، قال ابن المنذر روينا عن قيس بن عباد أنه قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند ثلاث : عند الجنائز ، وعند الذكر ، وعند القتال .

٢ – أن تتبع بنار لأن ذلك من أفعال الجاهلية ، وفى وصية عائشة ، وعبادة بن الصامت ، وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ، وأسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهم أن لاتتبعونى بنار ، (رواه البيهقى) .

فإن كان الدفن ليلا واحتاجوا إلى ضوء فلا بأس به ، وقد روى الترمذى عن ابن عباس أن النبى ﷺ « **دخل قبرا ليلا فأسرج له سراج** » .

٣ – قعود المتبع لها قبل أن توضع على الأرض : قال البخارى من تبع جنازة فلا يقعد حتى توضع عن مناكب الرجال ، فإن قعد أمر بالقيام ، ثم روى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « **إذا رأيتم الجنازة فقوموا فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع**»**وروى عن سعيد المقبرى عن أبيه قال : كنا فى جنازة ، فأخذ أبو هريرة رضى الله عنه بيد مروان فجلسا قبل أن توضع ، فجاء أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه**

فأخذ بيد مروان فقال : قم فو الله لقد علم هذا أن النبى ﷺ نهانا عن ذلك ، فقال أبو هريرة صدق » (رواه الحاكم) .

٤ – القيام لها عندما تمر ، لما رواه أحمد عن واقد بن عمرو بن سعيد بن معاذ قال : شهدت جنازة فى بنى سلمة ، فقمت فقال لى نافع بن جبير : أجلس فأنى سأخبرك فى هذا بثبت (حجة) حدثنى مسعود ابن الحاكم الزرق أنه سمع على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول : كان النبى ﷺ « **أمرنا بالقيام فى الجنازة ثم جلس بعد ذلك : فأمرنا بالجلوس** » رواه مسلم .

٥ – اتباع النساء لها ، لما روى عن أم عطية قالت : « **نهينا أن نتبع الجنائز ، ولم يعزم علينا** (أى لم يوجب علينا) » رواه أحمد والبخارى ومسلم .

وهذا مذهب ابن مسعود وابن عمر والحنفية والشافعية والحنابلة .

وعند مالك : أن لا يكره خروج النساء بشرط أن تكون مستترة ولا يترتب على خروجها فتنة .

ويرى ابن حزم أن ما استدل به الجمهور غير صحيح وأنه يصح للنساء اتباع الجنازة : فيقول : ولا نكره اتباع النساء للجنازة ، وتمنعهن من ذلك .

حيث جاءت فى النهى عن ذلك أثار ، ليس شىء منها يصح ، لأنها أما مرسلة وأما عن مجهول ، وأما عمن لا يصح الاحتجاج به .

وذكر حديث أبو هريرة : أن رسول الله ﷺ كان فى جنازة فرأى أمرأة فصاح بها عمر، فقال رسول الله ﷺ: «**دعها يا عمر فإن العين دامعة، والنفس مصابة ، والعهد قريب** » وإسناد هذا الحديث صحيح .

ولكننا نؤيد ما راه الجمهور فى هذا الأمر والله أعلـم .

الباب الثانى

الحيـــاة البرزخيـــة

الفصــل الأول : القــــبر

الفصــل الثانى : عذاب القبر ونعيمه .

الفصــل الثالث : منــازل الأرواح .

الباب الثانى
الحيـــاة البرزخية

مقدمـــــة :

المرحلة البرزخية .. تبدأ بدفن الميت فى قبره .. ونهايتها يوم القيامة يوم ينفخ فى الصور فيقوم الناس لرب العالمين .

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب أرجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا أنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾(١) .

فالقبر أول منزل من منازل الآخرة كما قال سيدنا رسول الله ﷺ : « **القبر أول منزل من منازل الآخرة** »(٢) .

وعلى ذلك فهو عنوان الآخرة وقبسة منها .. ولذلك قال رسول الله ﷺ : « **انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار** »(٣) .

ولكن قبل أن ندخل القبر لنرى ما فيه ... نريد أن نلقى نظرة سريعة على الروح فى هذه الفترة التى أعقبت خروجها من الجسد .. بإحدى الطريقتين السابقتين .. وإن كانت الروح من الأسرار التى لم يفصح عنها الحق سبحانه وتعالى .. واحتفظ به وأخفاه علينا .. إلا أن سيدنا رسول الله ﷺ .. الذى

---

(١) سورة المؤمنون الآيتان : ٩٩ ، ١٠٠

(٢) الحديث : رواه الإمام مسلم .

(٣) الحديث : رواه الإمام الترمذى .

لا ينطق عن الهوى وإنما وحى يوحى إليه .. أخبرنا ببعض أسرار الروح فى مواقف معينة .. وإن كانت هذه الأسرار التى كشف عنها لا تشفى غليلا.. ولا تروى ظمأ الطالب للمعرفة .. لأنه ما كشف عنها إلا كدليل فقط يزيد الإيمان رسوخا فى القلوب التى استنارت بنور الإيمان فإذا ما خرجت الروح من الجسد .. سواء بالرضى أو بالإكراه .. فإن الملائكة تحملها وتصعد بها إلى السموات العلا .. فإن كانت روح مؤمنة ... فإنها تواصل الصعود محمولة معززة مكرمة ... يشيعها من كل سماء مقربوها حتى تصل إلى السماء السابعة .. فيأمر الحق سبحانه وتعالى بأن يكتب كتاب عبده فى عليين ... وأن تعاد روحه إلى الأرض ... والحاملون لها هم ملائكة الرحمة ...

أما إن كانت روحاً فاسقة كافرة ... فإن ملائكة العذاب يحملونها ويصعدون بها حتى السماء الدنيا وهنا تغلق دونها أبواب السماء ... ويأمر الحق سبحانه وتعالى أن يكتبوا هذا العبد الفاجر فى سجين .... وأن تعاد روحه إلى الأرض ...

يقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره** »(٤) .

وقال الإمام الغزالى رحمه الله ما نصه : أعلم أن حقيقة الموت على ما دلت عليه الآيات والأخبار هو : مفارقة الروح للجسد .. لا عدم الروح .. قال الله تعالى : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾(٥) .

هذا فى الشهداء .. والخبر يدل على الأشقياء أيضا قال عليه الصلاة والسلام **يوم بدر لصناديد قريش لما قتلوا** « **يا فلان .. يا فلان .. قد وجدت ما وعدنى ربى حقا .. فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فقيل : يارسول الله أتناديهم وهم أموات ؟** » قال ﷺ : « **والذى نفسى بيده إنهم**

---

(٤) رواه الإمام أحمد فى حديث أبى سعيد الخدرى .
(٥) آل عمران الآية : ١٦٩ .

لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب »[٦] .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن الروح تدخل القبر مع الجسد لأن الاستماع صفة من صفات الروح .. وليس من صفات الجثة الهامدة والآن نترك الروح داخل القبر ولندخل إليها .. لنلقى نظرة على ما فيه .

(٦) رواه الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب .

الفصل الأول

القبر

وصف القبر .
استئناس الميت .
تلقين الميت .
تذكر القبور .
زيارة القبور .
البدع فى القبور .

الفصـــل الأول

القبـــــر

وصف القبر وما فيه :

يقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **ما رأيت منزلا فظيعا إلا والقبر أفظع منه** »[1] .

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه .. إذا وقف على قبر .. بكى حتى بل لحيته .. فسئل عن ذلك .. وقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى إذا وقفت على القبر ؟ .. فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإذا نجا منه صاحبه ، فما بعده أيسر وأن لم ينج منه .. فما بعده أشد** »[2] .

وروى أن رسول الله ﷺ .. دخل مصلاه .. فرأى أناسا كأنهم يكثرون –ترتفع أصواتهم بالحديث– فقال : « **أما أنكم لو أكثرتم من ذكر هازم اللذات الموت ..فإنه لا يأتى على القبر يوم إلا يتكلم فيقول : أنا بيت الغربة أنا بيت الوحدة .. أنا بيت التراب .. أنا بيت الدود .. فإذا ما دفن العبد المؤمن .. قال له القبر : مرحبا وأهلا .. أما إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلى .. فإذا وليتك اليوم وصرت الىّ فسترى صنيعى بك .. قال : فيتسع مد بصره ويفتح له بابا إلى الجنة .**

---

(١) الحديث : رواه الإمام الترمذى .

(٢) الحديث : رواه الإمام مسلم .

وإذا دفن العبد الكافر أو الفاجر .. قال له القبر : لا مرحبا ولا أهلا أما إن كنت لأبغض من يمشى على ظهرى إلى .. فإذا وليتك اليوم وصرت الىّ فسترى صنيعى بك .. قال : فيلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه .. قال : ويقيض له سبعون تنينا لو أن واحدا منها نفخ فى الأرض .. ما أنبتت شيئا ما بقيت الدنيا .. فينهشه ويخدشه .. حتى يفضى به إلى الحساب »[٣] .

إذا ما دفن الميت فى قبره خاطبه القبر .. أهلا ومرحبا إذا كان مؤمنا ويقول له غير ذلك إن كان كافرا فاجرا .. ثم يأتى ملكان لسؤاله .

وهما منكر ونكير .. فيقولان له : من ربك ؟ وما دينك ؟ وما قولك فى هذا الرجل الذى بعث فيكم ؟ .. فإن كان مؤمنا صالحا وفقه الله سبحانه وتعالى وألهمه الإجابة السليمة قال تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين أمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾[٤] .

فيكون قبره روضة من رياض الجنة .. حتى يقوم الحساب .. فهو فى عيشة راضية منعمة ...

وإن كان فاجرا كافرا .. فانه لا يستطيع الإجابة على الملكين .. لأن الله سبحانه وتعالى يخذله فى هذه الساعة .. يقول تعالى فى بقية الآية السابقة : ﴿ **ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾ .. فالحق سبحانه وتعالى .. يتركهم لأنفسهم بلا مساندة .. فالاضلال هنا .. بما قدمت أيديهم.. أى أن الضلال فى الآخرة نابع من نفس العبد الفاجر وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿ **وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ .. فإذا سئل هذا العبد الفاجر قال : لا أدرى فيكون قبره حفرة من حفر النار .. يلقى من أصناف العذاب ألوانا شتى وهو فى ذلك حتى يقوم الناس لرب العالمين .

---

(٣) الحديث : رواه الإمام الترمذى .

(٤) سورة إبراهيم الآية : ٢٧ .

قال رسول الله ﷺ : « **إذا أقبر الميت أتاه ملكان ، أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر وللآخر النكير .. فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : هو عبد الله ورسوله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا .. ثم يفسح له فى قبره سبعون زراعا فى سبعين .. ثم ينور له فيه .. ثم يقال له : نم .. فيقول : ارجع إلى أهلى فأخبرهم فيقولان له : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه ألا أحب أهله إليه .. حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .**

وإن كان منافقا أو كافرا .. قال : سمعت الناس يقولون : قولا فقلت مثله .. لا أدرى .. فيقولان .. قد كنا نعلم أنك تقول ذلك .. فيقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه .. فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك »(٥) .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « **يقول القبر للميت حين يوضع فيه : ويحك ياابن آدم ، ما غرك بى ، ألم تعلم أنى بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ، ما غرك بى إذ كنت تمر بى فذاذا (مختالا) فإن كان مصلحا أجاب عنه مجيب القبر فيقول : أرأيت ان كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فيقول القبر : إنى إذا أتحول عليه خضرا ويعود جسده نورا وتصعد روحه إلى الله تعالى** »(٦) .

وقال محمد بن صبيح بلغنا أن الرجل إذا وضع فى قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ، ناداه جيرانه من الموتى : ياأيها المتخلف فى الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر ؟ أما كان لك فى متقدمنا اياك فكرة ؟ أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت فى المهلة ؟ فهلا استدركت ما فات إخوانك؟ وتناديه بقاع الأرض ، ياأيها المغتر بظاهر الدنيا ، هلا اعتبرت بمن غيب من أهلك فى بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ؟ ثم سبق به أجله

---

(٥) رواه الترمذى وحسنه .

(٦) رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى .

إلى القبور ، وأنت تراه محمولا تهاداه أحبته إلى المنزل الذى لابد له منه .

وقال يزيد الرقاشي : بلغنى أن الميت إذا وضع فى قبره أحتوشته أعماله ثم أنطقها الله فقالت: أيها العبد المنفرد فى حفرته ، أنقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا أنيس لك اليوم عندنا .

وقال عبد الله بن عمير فى جنازة : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : « **إن الميت يقعد وهو يسمع خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء إلا قبره يقول : ويحك ابن آدم ، أليس قد حذرتنى وحذرت ضيقى ، ونتنى وهولى ودودى فماذا أعددت لى ؟** »(٧) .

وعن عطاء بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : « **ياعمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلاثة أزرع فى زراع وشبر ثم رجعوا إليك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب ويدفنوك فإذا انصرفوا عنك آتاك فتانا القبر : منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران شعرهما ويبحثان القبر بأنيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر؟** » فقال عمر : ويكون معى مثل عقلى الآن ؟ قال نعم قال : إذا أكفيكهما(٨) .

ومن هنا نعلم أن الميت يكون فى كامل قواه العقلية ولا يتغير بالموت ، فيكون الميت عاقلا مدركا يستطيع أن يتذكر ويجيب ولكن الكيفية التى يعود بها العقل إلى الميت هى التى لا يعلمها إلا الحق سبحانه وتعالى .

هل يعفى أحد من سؤال القبـــر ؟

نعم إن لله سبحانه وتعالى عبادا لا يسألون فى قبورهم ولا يفتنون فيها أبداً .

---

(٧) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا فى القبور مرسلا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك فى الزهد إلا أنه قال بلغنى ولم يرفعه .

(٨) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور مرسلا ورجاله ثقات .

أولهم : الأنبياء والمرسلين – أجمع الفقهاء على أن الرسل والأنبياء لا يسألون فى قبورهم ، لأن السؤال فى القبر فتنة ، فهو يوجه إلى من يجوز افتتانه عن ما مات عليه ، وهؤلاء عليهم الصلاة وأذكى السلام الشأن فيهم عدم الافتتان فلا يسألون .

وكذلك بالقياس على الشهداء ، فهم أقل مرتبة من الرسل والأنبياء ، والشهداء لا يسألون فى قبورهم بنص حديث سيدنا رسول الله ﷺ فمن باب أولى ألا يسأل الرسل والأنبياء .

وثانيهم : شهداء المسلمين : الذين قتلوا فى ميدان الحرب والجهاد لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى .

فلقد روى عن راشد بن سعيد رضى الله عنه عن رجل من الصحابة : أن رجلاً قال : يارسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهداء ؟ فقال : « **كفا ببارقة السيوف على رأسه فتنة** »(٩) .

وثالثهم : المرابط فى سبيل الله : وهو الحارس الذى يرابط للحراسة فى سبيل الله ، فعن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه أجرى عليه عمله الذى كان يعمله ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان** »(١٠) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمَّن من فتنة القبر** »(١١) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من مات مرابطاً فى سبيل الله أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذى كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتانين ويبعثه الله آمناً من الفزع** »(١٢) .

---

(٩) أخرجه النسائى بإسناد جيد .
(١٠) أخرجه الإمام الترمذى .
(١١) رواه الإمام مسلم .
(١٢) أخرجه الإمام الترمذى .

ورابعهم : الطفل والمجنون : فلما كان سؤال القبر عن التكليف بالايمان والأعمال ، وكان الطفل غير مكلف ، والمجنون : يرفع عنه التكليف فإنهما لا يسألان فى القبر .

وإن كان هناك خلاف بين العلماء على سؤال الأطفال وعدم سؤالهم ولكن الراجح عدم السؤال .

وخامسهم : الصديقين : فكل من لازم الصدق ظاهراً وباطناً حتى يكتب عند الله صديقاً فإنه يعفى من السؤال فى القبر ، وذلك قياساً على الشهيد والمرابط .

فالمعروف أن الصديق أعظم منزلة عند الله سبحانه وتعالى من الشهيد والمرابط، وقال القرطبى : إذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطراً وأعظم أجراً لا يفتن لأنه تقدم ذكره فى التنزيل على الشهداء ، وقد صح فى الرابط الذى هو دون الشهيد ، ألا يفتن فكيف بمن هو أعلى مرتبة منه ومن الشهيد .

وسادسهم : الميت بالطاعون : فعن عائشة رضى الله عنهما أنها قالت : سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون ؟ فقال : « **كان عذاباً على من شاء من عباده ، فجعله رحمة للمؤمنين ، فليس من رجل يقع فى الطاعون ، فيمكث فيه صابرا محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد** »(١٣) .

وسابعهم : المبطون : فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من مات مبطوناً مات شهيداً ، ووقى فتنة القبر ، وغدا وريح عليه يرزق من الجنة** »(١٤) .

وثامنهم : قارىء القرآن : قارىء القرآن المواظب على قراءته وقد تقدم

---

(١٣) رواه الإمام البخارى .

(١٤) رواه ابن ماجه فى سننه .

ذكر فضل سورة الملك وأنهما المنجية أى تنجى قائلها من الفتنة وكذلك المواظب على قراءة سورة السجدة ، وكذلك من قرأ ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ فى مرض موته وقد تقدم ذكر الحديث .

وتاسعهم : من مات ليلة الجمعة أو يومها : فلقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مسلم يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر** » .

وقال الإمام الترمذى : من مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند الله تعالى ، لأن يوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم وتغلق أبوابها ، ولا يعمل سلطان النار ما يعمل فى سائر الأيام ، فإذا قبض الله عبداً من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلاً لسعادته وحسن مآبه ، وأنه لم يقبض فى هذا اليوم العظيم إلا من كتب الله له السعادة عنده لذلك يقيه فتنة القبر .

« ضغطــة القبر »

هذا وان للقبر ضغطة شديدة لم ينج ولن ينجو منها أحد فعن حذيفة ابن اليمان قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة فجلس على رأس القبر ، ثم جعل ينظر فيه ، ثم قال : « **يضغط المؤمن فى هذا ضغطة ترد منها حمائله** »(١٥) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « **أن للقبر ضغطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ** »(١٦) .

وعن أنس قال : توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ وكانت امرأة مستقامة ، فتبعها رسول الله ﷺ ، فساءنا حاله ، فلما أنتهينا إلى القبر فدخله التمــع وجهه صفرة فلمــا خــرج أسفر وجـهه ، فقلنا يا رســول الله رأينــا

---

(١٥) الحديث : رواه الإمام أحمد بإسناد ضعيف .

(١٦) رواه الإمام أحمد بإسناد جيد .

منك شأنا فمم ذلك ؟ قال : « **ذكرت ضغطة ابنتي وشدة عذاب القبر فأتيت فأخبرت أن الله قد خفف عنها ولقد ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين** »[١٧] .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **هذا الذى تحرك له العرش ، وفتحت له أبواب السماء ، وشهد له سبعون ألفا من الملائكة ، لقد ضم ضمة ثم فرج عنه** » ، **قال النسائى : يعنى سعد بن معاذ .**

وكذلك الأطفال لا ينجون من ضغطة القبر :

فقد روى ابن أنس بن مالك رضى الله عنه : أن النبى ﷺ ، صلى على صبى أو صبية فقال : « لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منها هذا الصبى »[١٨] .

وعن أبى أيوب الأنصارى : أن صبياً دفن ، فقال رسول الله ﷺ : « **لو أفلت أحد من ضمة القبر ، لأفلت هذا الصبى** »[١٩] .

ولكن الأنبياء لهم ضمة فى القبر ؟ هذا السؤال يجيب عليه الإمام الترمذى فيقول : أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فلا نعلم أن لهم فى القبر ضمة ولا سؤال لعصمتهم .

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد استثناهم الحق سبحانه وتعالى من ضمة القبر لما عصمهم من الوقوع فى الذنوب والآثام .

وبالقياس : فإن كل من يلتزم بمنهج الله عز وجل ، ويسير على نهج سيدنا رسول الله ﷺ ، فإن لم ينج من هذه الضغطة التى ترد منها الحمائل ، وتختلف فيهما الأضلاع ، وحتى أنها تجعل الإنسان يستغيث

---

(١٧) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت .
(١٨) رواه الطبرانى بإسناد جيد ورجاله ثقات .
(١٩) رواه الطبرانى بإسناد صحيح .

استغاثة يسمعها ما بين السماء والأرض ، فإنه يخفف عنه ويرحم من شدة هذه الضغطة فتكون ضغطة خفيفة ثم يفرج عنه كما ضم سعد بن معاذ رضى الله عنه .

وهل يعفى أحد من ضمة القبر ؟

يقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره ، وأمن من ضغطته ، وحملته الملائكة يوم القيامة ، بأكفها حتى يجيزوه من الصراط إلى الجنة** »[٢٠] .

وروى أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد وهى زوجة أبو طالب عم سيدنا رسول الله ﷺ ، ومربيته ، قام عليه الصلاة والسلام ، فنزع قميصه وأمرهم أن يلبسوها إياه بين الأكفان ، وشيع جنازتها ، وحمل نعشها فلما وصل إلى القبر ، ونزل إلى اللحد فتمرغ فيه ، عسى أن يوسعه الله عليها ويعفيها من ضغطة القبر ، وقيل أنه ما أعفى أحد منها إلا فاطمة بنت أسد .

روى أن سيدنا رسول الله ﷺ ، شيع جنازة فاطمة بنت أسد ، وكان مرة يحمل ، ومرة يتأخر ، ومرة يتقدم ، ثم نزل قبرها ونزع قيمصه وتمعك (تمرغ) فى لحدها ، فقال : « **أردت ألا تمسها النار أبداً إن شاء الله** » وقال : « **ما عفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد . فقيل : يارسول الله ولا ابنك القاسم ، قال : ولا إبراهيم الذى هو أصغر منه** »[٢١] .

وعن جابر بن عبد الله قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ أتاه آت فقال : يارسول الله ، إن أم على وطالب وجعفر وعقيل ، قد ماتت ، فقال رسول الله ﷺ : « **قوموا إلى أمى ، فقمنا وكأن على رؤوس من معه الطير ، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال : إذا غسلتموها**

---

(٢٠) أخرجه أبو نعيم فى الحلية .

(٢١) أخرجه الحافظ أبو نعيم فى الحلية .

فأشعروها – أى اجعلوها على جسدها مباشرة– تحت أكفانها فلما خرجوا بها ، جعل رسول الله ﷺ ، مرة يحمل ومرة يتقدم ومرة يتأخر ، حتى انتهينا إلى القبر ، فتمعك فى اللحد ، ثم خرج ، فقال : أدخلوها باسم الله ، وعلى اسم الله ، فلما دفنوها قام قائماً فقال : جزاك الله من أم وربيبة خيراً ، فنعم الأم ونعم الربيبة كنت لى ، فقلنا : يارسول الله ، لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما ، قال : ما هما ؟ قلنا نزعك قميصك ، وتمعكك فى اللحد ، قال : « أما قميصى فأريد ألا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى ، وأما تمعكى فى اللحد فأردت أن يوسع الله عليها فى القبر » .

استئناس الميت بالمشيعين لجنازته بعد دفنه وتلقينه والقراءة على قبره :

فقد ثبت فى الصحيح أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه ، فروى مسلم فى صحيحه من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهرى ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو سياق الموت ، فبكى طويلا وحول وجهه إلى الجدار ، فجعل ابنه يقول : ما يبكيك ياأبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ فأقبل بوجهه فقال : ان أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنى كنت على أطباق ثلاث ، لقد رأيتنى وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ منى ولا أحب إلا أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام فى قلبى لقيت رسول الله ﷺ فقلت أبسط يدك لأبايعك ، فبسط يمينه ، قال : فقبضت يدى قال : فقال : مالك يا عمرو ؟ قال : قلت : أردت أن اشترط ، قال : تشترط ماذا ؟ قلت : أن يغفر لى ، قال : أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ وما كان أحد أحب الىّ من رسول الله ﷺ ولا أجل فى عينى منه وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه اجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأنى لم أكن أملأ عينى منه ، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدرى ما حالى فيها ، فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فإذا دفنتمونى فسنوا على التراب سنا ، ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم

لحمها حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى ، فدل ذلك على أن الميت يستأنس بالحاضرين عند قبره ويسر بهم .

وقد ذكر عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن .

قال عبد الحق : يروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة ، وممن رأى ذلك المعلى بن عبد الرحمن ، وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولا حيث لم يبلغه فيه أثر ، ثم رجع عن ذلك[٢٢] .

وروى عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه ، قال أبى إذ أنا مت فضعنى فى اللحد وقل بسم الله ، وعلى سنة رسول الله ، وسن على التراب سنا ، وأقرأ عند رأسى بفاتحة البقرة ، فإنى سمعت عبد الله ابن عمر يقول ذلك[٢٣] .

وذكر (الخلال) عن الشعبى قال : كانت الأنصار إذا مات لهم الميت اختلفوا إلى قبره يقرأون عنده القرآن ، قال : وأخبرنى أبو يحى الناقد قال : سمعت الحسن بن الجروى يقول : مررت على قبر أخت لى فقرأت عندها تبارك ، لما يذكر فيها فجاءنى رجل فقال : أنى رأيت أختك فى المنام تقول : جزى الله أبا على خيرا فقد أنتفعت بما قرأ[٢٤] .

وروى الإمام النسائى عن النبى ﷺ أنه قال : « **اقرأوا يس عند موتاكم** » .

وروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم** »[٢٥] .

(٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤) كتاب الروح .

(٢٥) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا .

واحتج الحافظ أبو محمد فى هذا الباب بما رواه أبو داود فى سننه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام** » .

تلقيــن الميت :

ذكر الإمام الغزالى رحمه الله فى كتابه إحياء علوم الدين : قال بشار بن غالب النجرانى : رأيت رابعة العدوية العابدة فى منامى وكنت كثير الدعاء لها ، فقالت لى : يابشار بن غالب ، هداياك تأتينا على أطبق من نور ، مخمرة بمناديل الحرير (أى مغطاه) قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للموتى واستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور ، وخمر بمناديل الحرير ، ثم أوتى به الميت ، فقيل له هذه هدية فلان إليك .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما الميت فى قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له ، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وأن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار** »(٢٦) .

ولهذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدى: شهدت أبا أمامة الباهلى وهو فى النزع فقال : ياسعيد إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسول الله ﷺ فقال : « **إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يافلان ابن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ثم ليقل : يا فلان ابن فلانة الثانية فأنه يستوى قاعدا ثم ليقل : يافلان ابن فلانة الثالثة فأنه يقول : أرشدنا يرحمك الله ولكن لا تسمعون فيقول له أذكر ما خرجت عليه من الدنيا ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا وبالقرآن**

---

(٢٦) رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس .

إماما فإن منكرا ونكيرا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما » . فقال رجل يارسول الله ، فإن لم يعرف اسم أمه ؟ قال : « **فلينسبه إلى حواء** »(٢٧) .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : ويدل على هذا أيضا ما جرى عليه عمل الناس قديما وإلى الآن من تلقين الميت فى قبره ، ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة ، وكان عبثا ، وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل .

وقراءة القرآن على القبور جائزة لما روى عن على بن موسى الحداد قال : كنت مع أحمد بن حنبل فى جنازة ومحمد بن قدامة الجوهرى معنا ، فلما دفن الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد : يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال بن قدامة لأحمد : يا أبا عبد الله ، ما تقول فى مبشر بن إسماعيل الحلبى ؟ قال : ثقة ، قال : هل كتبت عنه شيئا ؟ قال : نعم ، قال : أخبرنى مبشر بن إسماعيل ، عن عبد الرحمن ابن اللجلاج عن أبيه ، أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال : سمعت ابن عمر يوصى بذلك فقال له أحمد : فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ .

وقال محمد بن أحمد المروزى : سمعت أحمد بن حنبل يقول : إذا دخلتم المقابر فأقرءوا فاتحة الكتاب ، والمعوذتين ، وقل هو الله أحد ، وأجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فأنه يصل إليهم(٢٨) .

---

(٢٧) الحديث : رواه الطبرانى بإسناد ضعيف .

(٢٨) إحياء علوم الدين .

تذكر القبـــور :

وكان جعفر بن محمد يأتى القبور ليلا ويقول . يا أهل القبور ما لى إذا دعوتكم لا تجيبونى ثم يقول : حيل والله بينهم وبين جوابى ، وكأنى بى أكون مثلهم ، ثم استقبل الصلاة إلى طلوع الفجر .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : يافلان ، لقد أرقت الليلة أتفكر فى القبر وساكنه ، إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة فى قبره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ، ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ، ويجرى فيه الصديد ، وتخترقه الديدان مع ، تغير الريح ، وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيبة الريح ونقاء الصوت ، قال : ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه .

وكان يزيد الرقاشى يقول : أيها المقبور فى حفرته ، والمتخلى فى القبر بوحدته والمستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعرى بأى أعمالك إستبشرت ، وبأى إخوانك أغتبطت ، ثم يبكى حتى يبل عمامته ثم يقول : إستبشر واللهبأعماله الصالحة واغتبط والله بإخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى .. وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يخور الثور .

وقال ميمون بن مهران : خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبره ، فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال : يا ميمون : هذه قبور أبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشهم ، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المُثلات ، وأستحكم فيهم البلى ، وأصابت الأهوام مقيلا فى أبدانهم ، ثم بكى وقال : والله ما أعلم أحد أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله .

وقال ثابت البنانى : دخلت المقابر ، فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول : ياثابت ، لايغرنك صموت أهلها ، فكم من نفس مغمومة فيها .

ويروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فغطت وجهها وقالت :

وكانوا رجاء ثم أسوا رزية   لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاطا ، واعتكفت عليه سنة ، فلما مضت السنة قلعوا الفسطاط ودخلت المدينة ، فسمعوا صوتاً من جانب البقيع : هل وجدوا ما فقدوا ؟ فسمعوا من الجانب الآخر بل يئسوا فانقلبوا !!

وقال أبو موسى التميمى : توفيت امرأة الفرزدق ، فخرج فى جنازتها وجوه البصرة ، وفيهم الحسن ، فقال له الحسن : يأأبا فراس ، ماذا أعددت لهذا اليوم ؟ فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة .

فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافنى   أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءنى يوم القيامة قائد   عنيف وسوّاق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى   إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقال مالك بن دينار : مررت بالمقبرة فانشأتُ أقول :

أتيت القبور فناديتها   فأين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه   وأين المزكى إذا ما افتخر

قال فنوديت من بينهما أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفانوا جميعا فما مخبر   وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدوا بنات الثرى   فتمحوا محاسن تلك الصور
فياسائلى عن أناس مضوا   أمالك فيما ترى معتبر

قال : فرجعت وأنا باك .

ووجد على قبر مكتوباً :

إن الحبيب من الأحباب مختلس   لا يمنع الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها   يامن يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت ياغافلاً فى النقص منغمسا   وأنت دهرك فى اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لعزته   ولا الذى كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت فى قبر وقفت به   عن الجواب لساناً ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف   فقبرك اليوم فى الأجداث مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوباً :

يا أيها الناس كان لى أمل   قصر بى عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجـــل   أمكنه فى حياته العمـل
ما أنا وحدى نقلت حيث ترى   كل إلى مثـله سينتقـل

البصير من ينظر إلى القبور فيرى نفسه بينهم فأصحاب القبور قد تكشفت لهم الحقائق وعرفوا قدر الأعمال وقيمتها .. فقد علموا علم اليقين أن الله هو الحق المبين ولكن بعد فوات الأوان . فهل من معتبر ؟ .

زيارة القبور :

كان رسول الله ﷺ قد نهى الناس عن زيارة القبور ثم بعد ذلك أباح لهم زيارتها .. وكان هو عليه الصلاة والسلام أول من زار القبور فزار قبر أمه . ولقد قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾[(٢٩)] .

وتندب زيارة القبور فى كل الأيام وذلك للاعتبار بجلال الموت ، وأهوال القيامة فيرق القلب ، كما قال سيدنا رسول الله ﷺ ، وتدمع العين ، وتزهد فى الدنيا ، وترغب فى الآخرة ، فضلا عن أن الموتى ينتفعون بالدعاء والاستغفار لهم من الزائرين ..

---

(٢٩) سورة الأحزاب الآية (٢١) .

يقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة** »(٣٠) .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور ثم بدا لى ألا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين ، وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا** »(٣١) .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة** »(٣٢) .

وكان عليه الصلاة والسلام يزور قبور أهل البقيع بالمدينة مرارا ويسلم عليهم ويدعوا لهم كما كان عليه الصلاة والسلام يزور قبور الشهداء بأحد كل سنة مرة وكان يقول لهم : « **السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** » .

وزيارة النساء للقبور مباحة لما ذكر من أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ بشرط آمن الفتنة منهن وعدم اشتمال الزيارة على محرم من ندب ونياحة أو الخلاعة والمجون كما يحدث فى زيارة المقابر الآن .

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : كيف يارسول الله إذا زرت القبور ؟ قال : ﴿ **قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون** ﴾ .

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **زر القبر تذكر به الآخرة وأغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فإن الحزين فى ظل الله يتعرض كل خير** »(٣٣) .

---

(٣٠) رواه الإمام مسلم والترمذى .
(٣١) رواه ابن ماجه عن حديث ابن مسعود .
(٣٢) رواه الحاكم .
(٣٣) رواه الحاكم

وعن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وآتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد** »(٣٤) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال : « **السلام عليكم يا أهل القبور يغفر لله لنا ولكم وأنتم سلفنا ونحن بالأثر** »(٣٥) .

وقال ابن أبى مليكة قال رسول الله ﷺ : « **زوروا موتاكم وسلموا عليهم فإن لكم فيهم عبرة** »(٣٦) .

وعن نافع ، أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد إلا وقف عليه وسلم .. وروى أن فاطمة بنت النبى ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة فى الأيام ، وتصلى وتبكى عنده .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « **من زار قبر أبويه أو أحدهما فى كل جمعة غفر له وكتب بارا** »(٣٧) .

وعن ابن سيرين قال : قال رسول الله ﷺ : « **أن الرجل يموت والداه وهو عاق لهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين** »(٣٨) .

ومما سبق من أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ نرى أن زيارة قبور الوالدين أو أحدهما فيه الخير الكثير للزائر أولا حيث يكتب عند الله سبحانه وتعالى بارا لأنه قد بر بوالديه ولو بعد الممات حيث أن الحق سبحانه وتعالى

---

(٣٤) رواه الإمام مسلم

(٣٥) رواه الترمذى وقال حديث حسن .

(٣٦) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا .

(٣٧) الحديث : رواه الطبرانى .

(٣٨) الحديث رواه ابن أبى الدنيا .

حض المؤمنين على البر بالوالدين ولو كانوا من المشركين قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا** ﴾ ويتضح كذلك من حديث سيدنا رسول الله ﷺ أن الإحسان بالوالدين يجوز بعد الممات وذلك بالزيارة لهم والدعاء لهم والاستغفار لهم والتصدق عليهم .

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **من زار قبرى فقد وجبت له شفاعتى** »(٣٩) .

ويقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **من زارنى بالمدينة محتسبا كتبت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة** »(٤٠) .

البدع فى الجنائز وعلى القبر :

الصياح والندب : عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية** »(٤١) .

وعن أبى بردة قال : وجع أبو موسى وجعا شديدا فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله ، فصاحت امرأة من أهله فلم يستطيع أن يرد عليها شيئا فلما أفاق قال : أنا برىء ممن برىء منه رسول الله ﷺ ، فإن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة والحالقة والشاقة »(٤٢) .

وعن المغيرة بن شعبة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **أنه من نيح عليه يعذب بما نيح عليه** »(٤٣) .

وعن أبى مالك الأشعرى أن النبى ﷺ قال : « **أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن فى الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام**

(٣٩ ، ٤٠) رواه البيهقى   (٤١ ، ٤٢ ، ٤٣) متفق عليه .

يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب »(٤٤) .

وعن أبي موسى أن النبي ﷺ قال : « **الميت يعذب ببكاء الحي : إذا قالت النائحة: واعضداه ، وا نصراه ، واكسياه ، جُبذ الميت وقيل له : أنت عضدها ، أنت ناصرها ، أنت كاسيها ؟ »**(٤٥) .

ومن هنا يتضح لنا نحن معاشر المسلمين أن سيدنا رسول الله ﷺ قد نهى عن النياحة والصريخ والعويل ولطم الوجوه وشق الثياب وصبغها بالسواد وأخبرنا رسول الله ﷺ بأن الميت يعذب ببكاء أهله عليه وعلى ذلك فإن الواجب على كل مسلم ومسلمة في هذه الحال أن يصبر ويحتسب وأن يتذكر قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **أنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

المساجد والسرج على المقابر :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »**(٤٦) .

وعن ابن عباس قال : « **لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور .. والمتخذين عليها المساجد والسرج »**(٤٧) .

والحديث يدلان دلالة قاطعة على تحريم إقامة المساجد على القبور كما أنها تدل على تحريم أنارة القبور .. ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ القبور مساجد ، وإيقاد السرج عليها واشتد نهيه في ذلك حتى لعن فاعله ونهى عن الصلاة إلى القبور ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدا ، ولعن زوارات القبور وكان هديه أن لا تهان القبور وتوطأ ويجلس عليها ، ولا تعظم بحيث تتخذ مساجد فيصلى عندها وإليها وتتخذ أعيادا وأوثانا(٤٨) .

---

(٤٤) رواه الإمام أحمد ومسلم .

(٤٥) الحديث : أخرجه الحاكم والترمذى .

(٤٦) الحديث : متفق عليه .

(٤٧) الحديث : رواه الخمسة وابن ماجه .

(٤٨) كتاب زاد المعاد ج ١ .

الذبح عند القبر :

نهى الشارع عن الذبح عند القبر تجنبا لما كانت تفعله الجاهلية ، وبعدا عن التفاخر والمباهاه فقد روى أبو داود عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لا عقر فى الإسلام** » .

وقال الخطابى : كان أهل الجاهلية يعقرون الإبل على قبر الرجل الجواد يقولون : نجازيه على فعله ، لأنه كان يعقرها فى حياته ، فيطعمها الأضياف فنحن نعقرها عند قبره لتأكلها السباع والطير ، فيكون مطعما بعد مماته كما كان مطعما فى حياته(٤٩) .

الجلوس على القبر والاستناد إليه :

لا يحل الجلوس على المقابر ولا الاستناد إليها لما رواه عمرو بن حزم قال : رآنى رسول الله ﷺ متكئا على قبر ، فقال : « **لا تؤذ صاحب هذا القبر ، أو لا تؤذه** »(٥٠) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لأن يجلس أحدكم على جمرة ، فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خيرا له من أن يجلس على قبر** »(٥١) .

---

(٤٩) كتاب فقه السنة ج ٤ .
(٥٠) الحديث : رواه الإمام أحمد .
(٥١) الحديث : رواه أحمد ومسلم .

تجصيص القبر والكتابة عليه :

عن جابر رضى الله عنه قال : « **نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه** »[٥٢] والتجصيص معناه الطلاء بالجير وذلك لأن القبر للبلى لا للبقاء وأن تجصيصه من زينة الدنيا ولا حاجة للميت إليها .

---

(٥٢) الحديث : رواه أحمد ومسلم والنسائى .

الفصل الثانى

عذاب القبـــر ونعيمـــه

العذاب والنعيم فى القـــبر حق

ألـــوان من العـــذاب والنعـيم

الأسبـــاب التى يتعذب بها أصحاب القبـــور

الأعمال المنجيـــة من عذاب القـــبر

الأعمال التى ينتفع بها الإنسان بعـــد مماتـه

الفصل الثانى

عذاب القبر ونعيمه

مقدمة :

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : ان الله سبحانه وتعالى جعل الدور ثلاثا دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس ، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعا لها ، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها ، فكما تبعت الأرواح الأبدان فى أحكام الدنيا فتألمت بألمها وألتذت براحتها وعانت وهى التى باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح فى نعيمها وعذابها والأرواح حينئذ هى التى تباشر العذاب والنعيم ، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية ، والأبدان كالقبور لها والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية فى قبورها تجرى أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى إلى أبدانها نعيما أو عذابا كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيما أو عذابا .

وقد أرانا الله سبحانه وتعالى بلطفة ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجا فى الدنيا من حال النائم ، فإن ما ينعم به أو يعذب فى نومه يجرى على روحه أصلا والبدن تبع له وقد يقوى حتى يؤثر فى البدن تأثيرا مشاهدا فيرى النائم فى نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب فى جسمه ، ويرى أنه قد أكل

أو شرب فيستقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب فى فيه ويذهب عنه الجوع والظمأ[1] .

هذا وللمتقدمين من فقهاء المسلمين كلام كثير فى إثبات حقيقة عذاب القبر .. كانوا يردُّون به على الملحدين والزنادقة ومنكرى عذاب القبر ونعيمه ومنكرى الحياة البرزخية وما فيها من سؤال فعذاب أو نعيم كما أنهم كانوا ينكرون الأصناف العديدة من العذاب فى القبر ... ولا يصدقون بأن القبر على ساكنه قد يتسع أو يضيق ...

والمعروف عند أهل السنة أن عذاب القبر ونعيمه حق كما أن القبر ذاته حق وسؤال منكر ونكير حق وأن القبر على الميت أما أن يكون حفرة من حفر النار أو يكون روضة من رياض الجنة .

ولقد ذكرنا فيما تقدم بعضا من أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ التى تنص بحق على أن الروح تعود بعد مفارقتها الجسد بالموت تعاد إليه بين الأكفان فتعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره وأن الروح ترفرف على النعش وهى تقول : « يا أهلى ويا ناسى لا تغرنكم الدنيا ولا تلعبن بكم كما لعبت بى جمعت المال من حله ومن غير حله ، ثم تركته لغيرى فالمهنأ له والتبعة على .

فإذا ما دفن الميت فى قبره أتاه ملكان أزرقان أنيابهما تجر على الأرض وهما المنكر والنكير – وكلنا يؤمن أن سؤالهما حق لا مرية فيه . فيسألانه عن ربه وعن دينه وعن قوله فى سيدنا رسول الله ﷺ وعن علمه فأما الصالح فيوفقه الحق سبحانه وتعالى إلى الجواب الصحيح .. وأما الفاسق والكافر فإن الله سبحانه وتعالى يخذله فى تلك اللحظات ويتركه لنفسه فلا يجيب وكلنا يؤمن بأن للقبر ضغطة ما نجا منها أحد أبدا ولن ينجو منها أحد .. وأن القبر يخاطب الميت بلسان زلق طلق .. فإن كل هذه الأمور دلت على عود الروح إلى القبر وأن الميت يسمع كل ذلك ثم هناك يلقن الميت بالحجة والتلقين لا يكون إلا لمن يعى ما يسمع تماما .

---

(١) كتاب الروح ص ٨٨ : ٨٩ .

وان كان هناك من يشك فى أمر عذاب القبر ونعيمه فيقول هل هذا العذاب يقع على الروح فقط أم على الروح والبدن أم على البدن فقط .

هذا وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه عن هذا الأمر وكان جوابه ما نصه : بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة ، أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى .

عذاب القبر ونعيمة ، حقيقة :

قال الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** ﴾[٢] .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ **ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم ، اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ،**

---

(٢) السجدة : ٢١ . (٣) غافر : ٤٦ . (٤) الأنعام : ٩٣ .

وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم ، وتصلية جحيم ، إن هذا لهو حق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيم ﴾(٥) .

إن هذه الآيات الكريمة حملت إلينا أنباء عذاب القبر ونعيمه فعذاب القبر هو العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر فى يوم القيامة فهو تصلية جحيم وهو نزل من حميم .

هذا وقد تواترت أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ تحمل إلينا أنباء عذاب القبر ونعيمه لتكون لنا العبرة والعظة وما ينطق عن الهوى بل هو كما قال فيه الحق سبحانه وتعالى : ﴿ **وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ .

فعن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت علىَّ عجوز من عجائز يهود أهل المدينة ، فقالت : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم ، قالت : فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها قالت : فخرجت ودخل علىَّ رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله إن عجوزا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم ، قال : « **صدقت أنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها** » قالت : فما رأيته بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر(٦) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ : مر بقبرين فقال : « **أنهما ليعذبان ، وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة ، ثم عاد بجريدة رطبة وشقها نصفين فقال : لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا** »(٧) .

وعن زيد بن ثابت قال : بينما رسول الله ﷺ فى حائط لبنى النجار

---

(٥) الواقعة : ٨٩ ، ٩٦ .

(٦) الحديث : رواه البخارى، ومسلم .

(٧) الحديث : رواه البخارى، ومسلم .

على بغلته ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ، فإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال : « **من يعرف أصحاب هذه القبور ؟ ، فقال رجل : أنا ، قال : متى مات هؤلاء ؟ » قال : ماتوا فى الأشراك ، فقال : إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ، ثم أقبل علينا بوجهه فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر ، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر ، قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال** »[٨] .

وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا احتضر المؤمن أتته الملائكة بحريرة بيضاء ، فيقولون : أخرجى أيتها الروح الطيبة راضية مرضيا عنك ، إلى روح وريحان ورب غير غضبان ، فتخرج كأطيب من ريح المسك حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا ، حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التى جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه : ماذا فعل فلان ؟ قال : فيقولون : دعوه يستريح ، فأنه كان فى غم الدنيا ، فإذا قال : آتاكم فيقولون : انه ذهب به إلى أمة الهاوية ، وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح ، فيقولون : أخرجى مسخوطا عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون : فما أنتن هذه الروح ، حتى يأتوا به أرواح الكفار** »[٩] .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « **إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان ، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ، ويقال : أيتها النفس المطمئنة أخرجى راضية مرضيا عنك**

---

(٨) الحديث : رواه مسلم .

(٩) الحديث : رواه النسائى والبزار ومسلم .

إلى روح الله وكرامته ، فإذا أخرجت روحه ، وضعت على ذاك المسك والريحان ، وطويت عليها الحريرة ، وبعث بها إلى عليين ، وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه نزعا شديدا ، ويقال : أيتها النفس الخبيثة أخرجي ساخطة ، ومسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه ، فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة ، وإن لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين »[١٠] .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : قال النبى ﷺ : « المؤمن فى قبره فى روضة خضراء ، ويرحب له فى قبره سبعون ذراعا، ويضىء حتى يكون كالقمر ليلة البدر ، هل تدرون فيماذا انزلت « فإن له معيشة ضنكا » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : عذاب الكافر فى قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنينا ، هل تدرون ما التنيين ؟ تسعة وتسعون حية ، لكل حية سبعة رؤوس يخدشونه ويلحسونه وينفخون فى جسمه إلى يوم يبعثون » .

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله : ومما ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادا ونسف فى الهواء أو صلب أو غرق فى البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور .

ألوان من عذاب القبر :

عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال : « من رأى منكم الليلة رؤيا ؟ » قال : فإن رآى أحد رؤيا قصهافيقول : ما شاء الله ، فسألنا يوما فقال : « هل رأى أحد منكم رؤيا ؟ » قلنا : لا ، قال : « لكنى رأيت الليلة رجلين آتيانى ، فأخذا

---

(١٠) الحديث : رواه ابن أبى الدنيا .

بيدى ، وأخرجانى إلى الأرض المقدسة ، فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الأخر مثل ذلك ، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله ، قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق ، فانطلقنا حتى آتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فهر (الحجر الناعم الصلب) فيشدخ بها رأسه فإذا ضربه تدهده (تدحرج) الحجر فانطلق إليه ليأخذه ، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو ، فعاد إليه فضربه ، قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراه فيأتيهم اللهب من تحتهم فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا فإذا خمدت رجعوا ، قلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا حتى آتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة ، فأقبل الرجل الذى فى النهر ، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان ، فجعل كلما هم ليخرج رمى فى فيه بحجر فرجع كما كان ، فقلت : ما هذا ؟ قالا : انطلق فانطلقنا ، حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان ، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها ، فصعدا بى الشجرة وأدخلانى دارا لم أر قط أحسن منها ، فيها شيوخ وصبيان ثم صعدا بى فأدخلانى دارا هى أحسن وأفضل ، قلت : طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت ، قالا : نعم ، الذى رأيته يشق شدقه .. كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الأفاق .. فيصنع به إلى يوم القيامة .

والذى رأيته يشدخ رأسه .. فرجل علّمه الله القرآن .. فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار .. يفعل به إلى يوم القيامة .

وأما الذى رأيت فى النقب .. فهم الزناة .. والذى رأيته فى النهر فآكل الربا .. وأما الشيخ الذى فى أصل الشجرة فإبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس ، والذى يوقد النار فمالك خازن النار ، والدار الأولى دار عامة المؤمنين وأما هذه الدار ، فدار الشهداء وأنا جبرائيل وهذا ميكائيل ، فأرفع رأسك

فرفعت رأسى فإذا قصر مثل السحابة ، قالا : ذلك منزلك ، قلت : دعانى أدخل منزلى ، قالا : أنه بقى لك عمر لم تستكمله ، فلو استكملته آتيت منزلك »[11] .

ومن المؤكد أن رؤيا الأنبياء وحى مطابق لما فى نفس الأمر وعلى ذلك فهذا نص يكشف لنا بعضا من ألوان عذاب القبر .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ فى هذه الآية : ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا** ﴾[12] الا أنه أتى بفرس فحمل عليه قال : كل خطوة منتهى أقصى بصره ، فسار وسار معه جبريل ، فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال : ياجبرائيل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ﴿ **وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾[13] ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شىء من ذلك قال : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ، قال : ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع ، والزقوم ، ورضف جهنم (حجارة جهنم) وحجارتها قال : ما هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعباد ، ثم أتى على قوم من بين أيديهم لحم من قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب ، فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالا طيبا فيأتى المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح ثم يأتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شىء إلا قصفته يقول الله تعالى : ﴿ **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون** ﴾[14] ثم مر على رجل قد جمع حزمة

---

(١١) الحديث : رواه الإمام البخارى .
(١٢) سورة الإسراء الآية : ١ .
(١٣) سورة سبأ الآية : ٣٩ .
(١٤) الأعراف : ٨٦ .

عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها ، قال : ياجبريل ما هذا ؟ قال : هذا رجل من أمتك عليه آمانة لا يستطيع أدائها وهو يزيد عليها ، ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء ، قال : ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع قال : ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع(١٥) .

وجاء فى قصة الإسراء من رواية أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : فصعدت أنا وجبريل فاستفتح جبريل فإذا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة ونفس طيبة أجعلوها فى عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار ، فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين ، ثم مضيت هنية فإذا أنا بأخونة عليها لحم قد أروح نتن وعندها ناس يأكلون منها ، قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلا يتركون الحلال ويأتون الحرام ، قال ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام .. بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول : اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة آل فرعون ، قال : فتجيء السابلة فتطأهم فيصيحون ، قلت ياجبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس** ﴾(١٦) قال : ثم مضيت هنية فإذا أنا بقوم مشافرهم كمشافر الإبل فتفتح أفواههم فيلقمون الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يصيحون قلت : من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، ثم هنية فإذا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يصحن قلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الزوانى ، ثم مضيت هنية فإذا أنا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون ، فيقال : كُل كما كنت تأكلُ لحم أخيك ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : الهمازون من أمتك ...) الحديث(١٧) .

(١٥) رواه البيهقى .

(١٦) سورة البقرة الآية : ٢٧ .

(١٧) الحديث : رواه البيهقى

وفى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنه فى قصة الإسراء قال : قال رسول الله ﷺ : « ... **ورأيت رجالا منقلبين على وجوههم وعلى ظهورهم صخرة من نار والملائكة يضربونهم بمقامع من حديد ، قلت : من هؤلاء ؟ ياجبريل ، قال : هؤلاء اللوطية الذين يأتون الفاحشة فى الذكران من العالمين ورأيت أقواما بين أيديهم لحم طيب ولحم خبيث وهم يأكلون الخبيث ويتركون الطيب فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء هم الزناة ، ورأيت رجالا .. ونساء ألسنة النار تدخل فى أدبارهم وتخرج من أفواههم ، فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الهمازون واللمازون والغمازون ، ورأيت رجالا ونساء رؤوسهم مغمورة فى نار جهنم ويصب عليهم الحميم والزمهرير يلفحهم فيهرى لحومهم فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ فقال : هؤلاء الذين يلقون العداوة بين الناس ويرمون بينهم بالفتن** ... » الحديث

وفى سنن أبى داود من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما عُرج بى مررت بقوم لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم** .... » الحديث

ويذكر لنا الإمام ابن القيم رحمه الله فى كتاب الروح فيقول :

أخبر بعض الصادقين أنه حفر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح فرأى فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على أحد الأقبر فقال أحدهما لصاحبه : أكتب فرسخا فى فرسخ ، ثم وقف على الثانى ، فقال : أكتب ميلا فى ميل ثم وقف على الثالث فقال : أكتب فترا فى فتر ، ثم انتبه فجىء برجل غريب لا يؤبه له فدفن فى القبر الأول ، ثم جئ برجل آخر فدفن فى القبر الثانى ، ثم جئ بآمرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثيرة ، فدفنت فى القبر الضيق الذى سمعه يقول : فترا فى فتر .. والفتر ما بين الإبهام والسبابة .

ويقول : أن النار التى تكون فى القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها ، وانما هى من نار الآخرة وخضرها وهى أشد من نار الدنيا فلا يحس به أهل الدنيا ، فإن الله سبحانه يحمى على ذلك التراب والحجارة التى عليه وتحته حتى يكون أعظم

حرا من جمر الدنيا ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك ، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر وهذا فى حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره ، وذلك فى روضة من رياض الجنة لا يصل ريحها ونعيمها إلى جاره .

وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك ، قد أرانا الله من آيات قدرته فى هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما إلا من وفقه الله وعصمه .

فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور فإذا شاء الله سبحانه وتعالى أن يطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه ، وغيبه عن غيره ، إذ لو أطلع العباد كلهم لازالت كلمة التكليف ، والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس كما فى الصحيحين : عنه ﷺ لولا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع .

ولما كانت هذه الحكمة منفية فى حق البهائم سمعت ذلك وأدركته ، كما حادت برسول الله ﷺ بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب فى قبره .

وذكر أن رجلا خرج من داره بعد العصر بأمد إلى بستان قال : فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور ، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج والميت فى وسطه ، فجعلت أمسح عينى وأقول : أنائم أنا أم يقظان ؟ ثم التفت إلى صور المدينة وقلت : والله ما أنا بنائم ، ثم ذهبت إلى أهلى وأنا مدهوش ، فأتونى بطعام فلم أستطع أن آكل ، ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فإذا مكأس قد توفى ذلك اليوم .

فرؤية هذه النار فى القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحيانا لمن شاء الله أن يريه ذلك .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا فى كتاب القبور ، عن الشعبى أنه ذكر رجلا قال للنبى ﷺ : مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب فى الأرض ، ثم يخرج فيفعل به ذلك ، فقال رسول الله

ﷺ : ذلك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة .

وقال عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه ، قال : بينا أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة إذ مررت بمقبرة فإذا رجل خرج من قبره يلتهب نارا وفى عنقه سلسلة يجرها فقال : يا عبد الله أنضح ، يا عبد الله أنضح ، فوالله ما أدرى أعرفنى باسمى أم كما ندعو الناس ؟ قال : فخرج آخر فقال : ياعبد الله لا تنضح ياعبدالله لا تنضح ، ثم اجتذب السلسة فأعاده فى قبره .

وذكر ابن أبى الدنيا عن هشام بن عروه ، عن أبيه ، قال : بينما راكب يسير بين مكة والمدينة إذ مر بمقبرة فإذا برجل قد خرج من قبره يلتهب نارا مصفدا فى الحديد فقال : ياعبدالله انضح ، يا عبدالله انضح ، قال : وخرج اخر يتلوه فقال : ياعبد الله لا تنضح ، يا عبد الله لا تنضح قال : وغشى على الراكب وعدلت به راحلته إلى العرج ، قال : وأصبح قد ابيض شعره ، فأخبر عثمان بذلك فنهى أن يسافر الرجل وحده .

وذكر عن ابى قزعة ، قال : مررنا فى بعض المياه التى بيننا وبين البصرة فسمعنا نهيق حمار ، فقلنا لهم .. : ما هذا النهيق ؟ قالوا : هذا رجل كان عندنا ، كانت أمه تكلمه بالشيء فيقول لها : أنهقى نهيقك ، فلما مات سمع هذا النهيق من قبره كل ليلة .

وقيل ان عمرو بن دينار قال : كان رجل من أهل المدينة وكانت له أخت فى ناحية المدينة فاشتكت ، وكان يأتيها يعودها ، ثم ماتت ، فدفنها فلما رجع ذكر أنه نسى شيئا فى القبر كان معه ، فأستعان برجل من أصحابه قال : فنبشنا القبر ، ووجدت ذلك المتاع ، فقال للرجل : تنح حتى أنظر على أى حال أختى ، فرفع بعض ما على اللحد فإذا القبر مشتعل نارا فرده وسوى القبر ، فرجع إلى أمه فقال : ما كان حال أختى ؟ فقالت : ما تسأل عنها وقد هلكت ؟ فقال : لتخبرينى ، قالت : كانت تؤخر الصلاة ، ولا تصلى فيما أظن بوضوء، وتأتى أبواب الجيران فتلقم أذناها أبوابهم ، وتخرج .. حديثهم .

وروى مرثد بن حوشب ، قال : كنت جالسا عند يوسف بن عمر وإلى جنبه رجل كأن شقة وجهه صفحة من حديد ، فقال له يوسف : حدث مرثدا بما رأيت ، فقال : كنت شابا قد آتيت هذه الفواحش فلما وقع الطاعون قلت : أخرج إلى ثغر من هذه الثغور ، ثم رأيت أحفر القبور ، فإذا بى ليلة بين المغرب والعشاء قد حفرت وأنا متكىء على تراب قبر آخر إذ جىء بجنازة رجل حتى دفن فى ذلك ، وسووا عليه ، فأقبل طائران أبيضان من المغرب مثل البعيرين حتى سقط أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، ثم أثاراه ثم تدلى أحدهما فى القبر ، والأخر على شفره ، فجئت حتى جلست على شفير القبر ، وكنت رجلا لا يملأ جوفى شىء ، قال : فسمعته يقول : ألست الزائر أصهارك فى ثوبين ممصرين تسحبهما كبرا تمشى الخيلاء ؟ فقال : أنا أضعف من ذلك ، فضربه ضربة امتلأ القبر حتى فاض ماء ودهنا ثم عاد ، فأعاد إليه القول حتى ضربه ثلاث ضربات ، كل ذلك يقول ذلك ويذكر أن القبر يفيض ماء ودهنا ، قال : ثم رفع رأسه فنظر الىَّ فقال : انظر أين هو جالس بلسه الله ، قال : ثم ضرب جانب وجهى فسقط فمكثت ليلتى حتى أصبحت ، قال : ثم أخذت انظر إلى القبر فإذا هو على حاله .

يقول الإمام ابن القيم : فهذا الماء والدهن فى رأى العين لهذا الرائى هما نار تأجج للميت كما أخبرنا النبى ﷺ عن الدجال أنه يأتى معه بماء ونار ، فالنار ماء بارد والماء نار تأجج .

وذكر ابن أبى الدنيا أن عمر بن عبد العزيز قال لمسلمة بن عبد الملك يامسلمة من دفن أباك ، قال : مولاى فلان ، قال : فمن دفن الوليد ؟ قال : مولاى فلان ، قال : فأنا أحدثك ما حدثنى به أنه لما دفن أباك والوليد فوضعهما فى قبورهم وذهب ليحل العقد عنهما وجد وجوههما قد حولت أقفيتهما ، فانظر يامسلمة إذا أنامت فالتمس وجهى فانظر هل نزل بى ما نزل بالقوم ، أو هل عوفيت من ذلك ؟ قال مسلمة : فلما مات عمر وضعته فى قبره فلمست وجهه فإذا هو مكانه .

وذكر ابن أبى الدنيا عن بعض السلف ، قال : ماتت ابنة لى فأنزلتها

القبر ، فذهبت أصلح اللبنة فإذا هى قد حولت عن القبلة ، فاغتممت لذلك غما شديدا ، فرأيتها فى النوم فقالت : ياأبتى اغتممت لما رأيت ، فإن عامة من حولى محولين عن القبلة ، قال : كأنها تريد والذين ماتوا مصرين على الكبائر .

وقيل عن عبد الحميد بن محمود قال : كنت جالسا عند ابن عباس رضى الله عنه ، فأتاه قوم فقالوا : إنا خرجنا حجاجا ومعنا صاحب لنا إذ آتينا فإذا الصفاح مات (يعنى ذلك الصاحب) ، فهيأناه ، ثم انطلقنا ، فحفرنا له ولحدنا له فلما فرغنا من لحده إذا نحن بأسود قد ملأ اللحد ، فحفرنا له آخر ، فإذا به قد ملأ لحده ، فحفرنا له آخر ، فإذا به ... فقال ابن عباس : ذاك الغل يغل به ، انطلقوا فأدفنوه فى بعضها فو الذى نفسى بيده لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيه ، فانطلقنا فوضعناه فى بعضها ، فلما رجعنا أتينا أهله بمتاع له معنا ، فقلنا لامرأته: ما كان يعمل زوجك ؟ قالت : كان يبيع الطعام ، فيأخذ منه كل يوم قوت أهله ثم يقرض الفضل مثله ،

وذكر ابن أبى الدنيا عن رجل من أهل البصرة كان يحفر القبور قال : حفرت قبرا ذات يوم ، ووضعت رأسى قريبا منه فأتتنى أمرأتان فى منامى ، فقالت أحداهما : ياعبد الله نشدتك بالله ألا صرفت عنا هذه المرأة ولم تجاورنا بها ، فاستيقظت فزعا ، فإذا بجنازة امرأة قد جىء بها فقلت : القبر وراءكم ، فصرفتهم عن ذلك القبر ، فلما كان الليل ، إذ أنا بالمرأتين فى منامى تقول أحداهما : جزاك الله عنا خيرا ، فلقد صرفت عنا شرا طويلا ، قلت : ما لصاحبتك لا تكلمنى كما تكلمينى أنت ؟ قالت : أن هذه ماتت عن غير وصية ، وحق لمن مات عن غير وصية ألا يتكلم إلى يوم القيامة .

الأسباب التى يتعذب بها أصحاب القبور :

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله هذه الأسباب فى كتابه الروح فقال : أن جواب هذا الأمر على وجهين : مجمل ومفصل :

أما المجمل فإنهم يعذبون على جهلهم بالله وأضاعتهم لأمره ، وارتكابهم لمعاصيه ، فلا يعذب الله روحا عرفته وأحبته وأمتثلت أمره .. واجتنبت نهيه ،

ولا أبدانا كانت فيه أبدا ، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده ، فمن أغضب الله وأسخطه فى هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه مستقل ومستكثر ، ومصدق ومكذب .

وأما الجواب المفصل : فقد أخبر النبى ﷺ عن الرجلين الذين رآهما يعذبان فى قبورهما .. يمشى أحدهما بالنميمة بين الناس ويترك الآخر الأستبراء من البول ، فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك أرتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقا وفى هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابا ، كما أن ترك الإستبراء من البول : تنبيها على أن من ترك الصلاة .. التى الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذابا .

وفى حديث شعبة أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس .. فهذا مغتاب وذلك نمام وقد تقدم حديث (ابن مسعود رضى الله عنه) فى الذى ضرب امتلاء القبر عليه به نارا ، لكونه صلى صلاة واحدة بغير طهور ومر على مظلوم لم ينصره .

وقدم حديث سمرة فى صحيح البخارى : فى تعذيب من يكذب الكذبة فتبلغ الأفاق ، وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه بالليل ولا يعمل به بالنهار وتعذيب الزناة والزوانى وتعذيب آكل الربا ، كما شاهدهم النبى ﷺ فى البرزخ .

وتقدم حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى فيه : رضخ رؤوس أقوام بالصخر لتثاقل رؤوسهم عن الصلاة ، والذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكاة أموالهم ، والذين يأكلون المنتن الخبيث لزناهم ، والذين تقرض شفاههم بمقاريض من حديد لقيامهم فى الفتن بالكلام والخطب .

وتقدم حديث أبى سعيد : وعقوبة أرباب تلك الجرائم فمنهم من بطونهم أمثال البيوت وهم على سابلة آل فرعون وهم أكلة الربا ، ومنهم من تفتح

أفوافههم فيلقمون الجمر حتى يخرج من أسافلهم وهم أكلة أموال اليتامى ، ومنهم المعلقات بثديهن وهن الزوانى ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم وهم المغتابون ، ومنهم من لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم وهم الذين يغمتون أعراض الناس .

وقد أخبرنا النبى ﷺ عن صاحب الشملة التى غلها من المغنم أنها تشتعل عليه نارا فى قبره هذا وله فيها حق ، فكيف بمن ظلم غيره ما لا حق له فيه .. فعذاب القبر عن معاصى القلب والعين والأذن والفم واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل ، والبدن كله ، فالمنان والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع فى الفتنة ، والداعى إلى البدعة ، والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به والمجازف فى كلامه ، وآكل الربا ، وأكل أموال اليتامى وأكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما ، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق ، أو مال المعاهد ، وشارب المسكر ، وآكل لقمة الشجرة المعلونة ، والزانى ، واللوطى ، والسارق ، والخائن ، والغادر ، والمخادع ، والماكر وآخذ الربا ، ومعطيه ، وكاتبه وشاهداه ، والمحلل ، والمحلل له ، والمحتال على اسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ، ومؤذى المسلمين، ومتتبع عوراتهم ، والحاكم بغير ما أنزل الله والمفتى بغير ما شرعه الله ، والمعين على الأثم والعدوان ، وقاتل النفس التى حرم الله ، والملحد فى حرم الله ، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته ، الملحد فيها ، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ ، والنائحة والمستمع إليها ، ونواح جهنم وهم المغنون الذى حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم ، والذين يبنون المساجد على القبور ويوقدون عليها القناديل والسرج ، والمطففون فى استيفاء ما لهم إذا أخذوه وهضم ما عليهم إذا بذلوه ، الجبارون ، والمتكبرون ، والمراؤن ، والهمازون ، واللمازون ، والطاعنون على السلف ، والذين يأتون الكهنة والمنجمين ، والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم ، وأعوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، والذى إذا خوفته بالله وذكرته به لم يرعو ولم ينزجر فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه ، والذى يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدى ولا يرفع به رأسا .فإذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطىء

عض عليه بالنواجذ ولم يخالفه ، والذى يقرأ عليه القرآن فلا يؤثر فيه ، وربما استثقل به فإذا سمع قرآن الشيطان ورقيه الزنا ومادة النفاق طاب سره وتواجد وهاج من قبله دواعى الطرب وود أن المغنى لايسكت، والذى يحلف بالله ويكذب فإذا حلف بالبندق أو برىء من شيخه أو قريبه أو سراويل الفتوة أو حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين لم يكذب ولو هدد وعوقب ، والذى يفتخر بالمعصية ويكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر ، والذى لا تأمنه على مالك وحرمتك ، والفاحش اللسان البذىء الذى تركه الخلق اتقاء شره وفحشه ، والذى يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها ، وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلا ؛ ولا يؤدى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، ولا يحج مع قدرته على الحج ولا يؤدى ما عليه من الحقوق مع قدرته عليها ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة ولا يبالى بما حصل من المال من حلال أو حرام ، ولا يصل رحمه ولا يصل المسكين ، ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم ، بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ، ويرائى للعالمين ويمنع الماعون ويشتغل بعيوب الناس على عيبه وبذنوبهم على ذنبه ، فكل هؤلاء وأمثالهم يعذبون فى قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها .. وصغرها وكبرها .

ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين ، والفائز منهم قليل ، فظواهر القبور تراب وبواطنها حسرات وعذاب ، ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات وفى باطنها الدواهى والبليات تغلى بالحسرات كما تغلى القدور بما فيها ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها ، تالله لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالا ونادت : ياعمار الدنيا لقد عمرتم دارا موشكة بكم زوالا وخربتم دارا أنتم مسرعون إليها انتقالا وعمرتم بيوتا لغيركم منافعها وسكناها وخربتم بيوتا ليس لكم مساكن سواها، هذه دار الاستباق ومستودع الأعمال ، وبذر الزرع ، وهذه محل للعبرة : رياض من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار .

الأعمال المنجية من عذاب القبر :

أما الأعمال التى تنجى صاحبها من عذاب القبر هى : إقامة الفرائض والسنن كما يحب الله ويرضى .. وتجنب الأعمال المنافية لآداب الإسلام ونواهيه والتى أدت إلى عذاب القبر كما ذكرنا آنفا .. وتجنب المحارم وكل ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه ورسوله عليه الصلاة والسلام ..

ومحاسبة النفس على ما قدمت فى يومها الذى انقضى .. والاستغفار عما بدر منها من ذلات .. والعودة إلى الله سبحابه وتعالى بتوبة نصوح والعزم على عدم معاودة الذنب أبدا .. والعزم على فعل الخيرات وكل ما ينفع الناس فقد قال الحق سبحانه وتعالى فى وصف عباده الاتقياء ... فقال وقوله الحق : ﴿ **والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فأستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** ﴾ .

وحفظ القرآن وتلاوته والتعبد به .. فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خبائه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة المُلك حتى ختمها ، فأتى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة المُلك حتى ختمها فقال النبى ﷺ : « **هى المانعة ، هى المنجية تنجيه من عذاب القبر** »(١٨) .

والجهاد فى سبيل الله : فعن سلمان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات أجرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان** »(١٩) .

---

(١٨) الحديث : رواه الإمام الترمذى .

(١٩) الحديث : رواه الإمام مسلم .

وعن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال : « **كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطا فى سبيل الله فأنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر** »[٢٠] .

ويكفينا أن نسمع فى هذا المقام إلى حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذى رواه عبد الرحمن بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ، ونحن فى صفة بالمدينة فقام علينا فقال : « **إنى رأيت البارحة عجبا : رأيت رجلا من أمتى ، أتاه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه .**

ورأيت رجلا من أمتى ، قد احتوشته الشياطين ، فجاء ذكر الله فطير الشياطين عنه .

ورأيت رجلا من أمتى ، يلهث عطشا كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان ، فأسقاه وأرواه .

ورأيت رجلا من أمتى ، ورأيت النبيين جلوسا ، حلقا حلقا ، كلما دنا إلى حلقة طرد ومنع ، فجاءه غسله من الجنابة ، فأخذ بيده فأقعده إلى جنبى .

ورأيت رجلا من أمتى ، من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه ، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور .

ورأيت رجلا من أمتى ، يتقى وهج النار وشرها ، فجاءته صدقته فصارت سترا بينه وبين النار وظلا على رأسه .

ورأيت رجلا من أمتى ، يكلم المؤمنين ولا يكلمونه ، فجاءته صلته لرحمه فقالت : يامعشر المؤمنين أنه كان وصولا لرحمه فكلموه .. فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم .

---

(٢٠) الحديث : رواه الإمام الترمذى .

ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية ، فجاءه أمره بالمعروف .. ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأخذته ملائكة الرحمة .

ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل .

ورأيت رجلا من أمتى ، قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل ، فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه .

ورأيت رجلا من أمتى خف ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه .

ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى .

ورأيت رجلا من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى قد بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك .

ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فى ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن روعه ومضى .

ورأيت رجلا من أمتى يزحف على الصراط يحبو أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته فأقامته على قدميه وأنقذته .

ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة »[٢١] .

الأعمال التى ينتفع بها الإنسان بعد مماته :

إن انتفاع الإنسان بعمله الذى تسبب فيه قبل موته ثابت شرعا بنص الكتاب والسنة واجماع الأمة .

---

(٢١) الحديث : رواه الحافظ أبو موسى المدينى .

أما الأعمال التى ينتفع بها الإنسان بعد موته فهى كثيرة ومنها :

الصدقة الجارية ، التى يكون الإنسان قد تصدق بها حال حياته وظل لهذه الصدقة خير ينتفع به الناس بعد مماته فله أجره عنها حتى ينقطع انتفاع الناس بها .

العلم ، الذى ينتفع به الناس حال حياته واستمر انتفاعهم به بعد مماته فله أجره عنه ما دام الناس ينتفعون بهذا العلم .

التربية الصالحة للأبناء واعدادهم الحسن وحثهم على عبادة الله سبحانه وتعالى ، فيكون للإنسان منهم الولد الصالح الذى يدعو له بالرحمة والمغفرة كما قال تعالى : ﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ .

توريث كتاب الله عز وجل ، وهنا لفتة لطيفة ، فأنت لا تورث المصحف أو تعده من أرثك إلا إذا كنت تعبد الله سبحانه وتعالى ، وتعرف قيمة تلاوة القرآن ومقدار الثواب والأجر العظيم عليها ، ومن ناحية أخرى لابد أن تكون قد نشأت ولدك الذى سوف يرث كتاب الله عز وجل على طاعة الله وحسن عبادته حتى يتقبل منك ذلك الإرث ويعمل به وبما تقضى به أحكامه فيكون لك الأجر والثواب :

بناء المساجد وعمارتها وكذلك إيواء المساكين وعابرى السبيل وحسن ضيافتهم وكذلك شق الأنهار والمساقى وحفر الآبار ليشرب عباد الله .

والناظر المتأمل فى هذه الأعمال يرى أنها تتفرع إلى كل عمل فيه خير ينتفع به الناس حال حياته ويستمر ذلك الانتفاع بعد مماته .

أضف إلى ذلك القدوة الحسنة فى كل أعمال الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا مات الإنسان انقطع عن عمله ، إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع**

به ، أو ولد صالح يدعو له »[٢٢] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علما علمه ونشره أو ولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أكراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته** »[٢٣] .

وقال جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء** »[٢٤] .

وعن حذيفة رضى الله عنه قال : سأل رجل على عهد رسول الله ﷺ ، فأمسك القوم ، ثم ان رجلا أعطاه ، فأعطى القوم ، فقال النبى ﷺ : « **من سن خيرا فاستن به كان له أجره ومن أجور من تبعه غير منتقص من أجورهم شيئا ، ومن سن شرا فاستن به كان عليه وزره ومن أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئا** »[٢٥] .

كما أن الإنسان ينتفع بما يهدى إليه من الناس بعد مماته :

ومن ذلك استغفار المؤمنين للذين سبقوهم بالإيمان قال تعالى : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾[٢٦] .

وكذلك الدعاء له فى صلاة الجنازة فانه ينفعه وقد سبق ذكر ذلك وعليه إجماع الأمة فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء** » (رواه ابن ماجه) .

---

(٢٢) الحديث : رواه الإمام مسلم .
(٢٣) الحديث : رواه ابن ماجه .
(٢٤) الحديث : رواه الإمام مسلم .
(٢٥) الحديث : رواه الإمام أحمد .
(٢٦) سورة الحشر : ١٠

وعن عوف بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ على جنازة ، فحفظت من دعائه وهو يقول : « **اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله وأغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار** »(٢٧) .

وكذلك الدعاء له بعد الدفن ومن حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : « **استغفروا لأخيكم وأسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل** »(٢٨) .

وكذلك الدعاء لهم عند الزيارة لهم وزيارة قبورهم .. فعن بريدة بن الخصيب قال : كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: « **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا إن شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية** »(٢٩) .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها سألت النبى ﷺ : كيف تقول إذا استغفرت لأهل القبور ؟ قال : « **قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا إن شاء الله بكم للاحقون** »(٣٠) .

وعن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : خرج رسول الله ﷺ فى ليلة من آخر الليل إلى البقيع فقال : « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد** »(٣١) .

وروى عن سيدنا رسول الله أنه قال : « **ما الميت فى قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت**

---

(٢٧) الحديث : رواه ابن ماجه .

(٢٨) رواه ابن ماجه . (٢٩) رواه الإمام مسلم (٣٠) رواه الإمام مسلم .

(٣١) الحديث : رواه الإمام مسلم .

أحب إليه من الدنيا وما فيها وان هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار »[٣٢] .

وثبت عن رسول الله ﷺ أن ثواب الصدقة يصل إلى الميت .. فعن عائشة رضى الله عنها قالت : ان رجلا أتى النبى ﷺ فقال : يارسول الله ان أمى افتاتت نفسها (فاجأها الموت) ولم توص وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر ان تصدقت عنها ؟ قال : « **نعم** »[٣٣] .

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ان أمى توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت عنها ؟ قال : « **نعم : قال فانى أشهدك أن حائطى المخراف صدقة عنها** »[٣٤] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ : ان أبى مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفى عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : « **نعم** »[٣٥] .

وإذا كان التصدق عن الميت جائز شرعا ويصل ثواب الصدقة التى تهدى إليه أو يهدى له ثوابها فإن جميع أعمال الخير التى يهدى ثوابها إلى الميت جائزة شرعا ويصل إليه ثوابها وينتفع بها وهذه الأعمال بالإضافة إلى الدعاء والصدقة هى الصوم والحج والصلاة وجميع أعمال الخير يمكن إهداء ثوابها إلى الأموات .

فعن سعد بن عبدة أنه قال : يارسول الله : ان أم سعد ماتت فأى الصدقة أفضل ؟ قال : « **الماء** » فحفر بئرا وقال هذه لأم سعد[٣٦] .

وكذلك الصيام عن الميت : فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله

---

(٣٢) الحديث : رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس .

(٣٣) الحديث : رواه البخارى ومسلم .

(٣٤) الحديث : رواه البخارى .

(٣٥) الحديث : رواه الإمام مسلم .

(٣٦) رواه أحمد .

ﷺ قال : « **من مات وعليه صيام صام عنه وليه** »[٣٧] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أمى ماتت وعليها شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : « **نعم فدين الله أحق أن يقضى** »[٣٨] .

وفى رواية الإمام البخارى : « **جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها ؟ قال : «أفرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان يؤدى ذلك عنها ؟ » قالت : نعم ، قال : « فصومى عن أمك »** .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن امرأة ركبت البحر فنذرت إن الله نجاها أن تصوم شهرا ، فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت ، فجاءت بنتها أو أختها إلى رسول الله ﷺ ، فأمرها أن تصوم عنها[٣٩] .

وكذلك الحج :

فعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ، قال : « **حجى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله فالله أحق بالقضاء** »[٤٠] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن امرأة سنان بن سلمة الجهنى سألت رسول الله ﷺ، أن أمها ماتت ولم تحج ، أفيجزىء أن تحج عنها ؟ قال : « **نعم ، لو كان على أمك دين فقضيته ألم يكن يجزىء عنها ؟** »[٤١] .

---

(٣٧) رواه البخارى .
(٣٨) الحديث : رواه البخارى ومسلم .
(٣٩) رواه الإمام أحمد .
(٤٠) رواه الإمام البخارى .
(٤١) رواه الإمام النسائى .

الفصل الثالث

منـازل الأرواح

أقوال الفقهـاء واختلافهـم .

أرواح فى السمـوات العلـى .

أرواح فى الجنـة وعلى أبوابهـا .

أرواح فى روضـة من رياض الجنـة فى قبورها

أرواح رهينـة القـبر

أرواح فى حفرة من حفر النـار فى قبرهـا .

أرواح فى النـار .

أقوال الفقهاء واختلافهم فى مستقر الأرواح

كان للفقهاء من علماء المسلمين ، آراء عديدة فى مستقر الأرواح فى مرحلة البرزخ .. ولكل منهم أدلته التى احتج بها :

منهم من قال : أن الأرواح المؤمنة .. عند الله .. فى الجنة .. شهداء كانوا أم غير شهداء ، إذ لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين .. وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم .

وأحتج هؤلا بقوله تعالى ﴿ **فأما ان كان من المقربين ، فروح وريحان وجنة نعيم** ﴾ قالوا : وهذا ذكره سبحانه عقيب ذكر خروجها من البدن بالموت .. وقسم الأرواح إلى ثلاثة أقسام (مقربين) وأخبر أنها فى الجنة فى جنة النعيم ، (وأصحاب اليمين)حكم لها بالإسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب (ومكذبة ضالة) وأخبر أن لها نزل من حميم ، وتصلية جحيم .

كما أحتج بقوله تعالى : ﴿ **ياأيتها النفس المطمئنة إرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** ﴾ .. وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين : أن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا ، وهذه من البشرى التى قال تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** ﴾ وهذا التنزيل يكون عند الموت ، ويكون فى القبر ، ويكون عند البعث وأول بشارة فى الآخرة عند الموت .

كما أحتج هؤلاء ، بما رواه الإمام مالك فى الموطأ عن سيدنا رسول الله ﷺ « **لما أصيب إخوانكم – يعنى يوم أحد – جعل الله أرواحهم**

فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب مدلاة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وفضيلهم قالوا : من يبلغ إخواناً أنا أحياء فى الجنة لئلا ينكلوا عن الحرب ، ولا يزهدوا فى الجهاد ؟ قال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله : هذا مذهب أبى هريرة وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما .

ومنهم من قال : أن أرواح المؤمنين بفناء الجنة وعلى بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها ... وهو قول مجاهد .

وأحتج بما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « **الشهداء على بارقة نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية** » .

ومنهم من قال الأرواح على أفنية قبورها .. وقال الإمام بن القيم رحمه الله : إن أرادوا أن هذا الأمر لازم لها ، لا تفارق أفنية القبور أبدا فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة .

وإن أرادوا أنهما تكون على أفنية القبور وقتا ، أولها إشراف عليه وهى فى مقرها فهذا حق ولكن لا يقال مستقرها أفنية القبور .

ومنهم من قال : أرواح المؤمنين ، عند الله تعالى .. وأحتج بما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن الميت إذا خرجت نفسه ، يعرج بها إلى السماء حتى ينتهى إلى السماء التى فيها الله عز وجل ، وإذا كان الرجل السوء يعرج إلى السماء فإنه لا يفتح له أبواب السماء فترسل من السماء فتعاد إلى القبر** »[1] .

---

(١) الحديث : رواه البخارى ومسلم .

ومنهم من قال : أن أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة . وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السفلى .

ويدل عليه قول النبى ﷺ : « **اللهم الرفيق الأعلى** »(٢) .

ومنهم من قال : أن أرواح المؤمنين عن يمين آدم عليه السلام وأرواح الكفار عن يساره .

ويعلق الإمام ابن القيم على هذا القول : فيقول : فلعمر الله لقد قالوا قولاً يؤيده الحديث الصحيح ، وهو حديث الإسراء ، فإن النبى ﷺ ، رآهم كذلك ...، ولكن لا يدل ذلك على تعادلهم فى اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه فى العلو والسعة .. وهؤلاء عن يساره فى السفل والسجن .

ومنهم من قال : أن مستقر الأرواح العدم المحض ، على فرض أن الروح عرض من أعراض البدن ، وهو الحياة .. وهو قول فاسد .

ومنهم من قال : أن مستقر الأرواح بعد الموت ، أبدانا اخر غير هذه الأبدان .

ويقول الإمام بن القيم رحمه الله : وهذا القول فيه حق وباطل : فأما الحق : فما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ : عن أرواح الشهداء ، وأنها فى حواصل طير خضر تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش ، هى لها كالأوكار للطائر ، وقد صرح بذلك فى قوله : « **جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر** ... » والحديث لابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما أصيب إخوانكم – يعنى يوم أحد – جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب مدلاة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقبلهم قالوا : من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ، ولا يزهدوا فى الجهاد ؟ فقال الله تعالى أنا أبلغهم**

---

(٢) الحديث : رواه الإمام أحمد .

عنكم .: فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

ويقول الإمام ابن القيم ، فإن قيل فهذا هو القول بالتناسخ وحلول الأرواح ، فى أبدان أخر غير أبدانها التى كانت فيها ، قبل هذا المعنى . الذى دلت عليه السنة الصريحة حق يجب اعتقاده ، ولا يبطله تسمية المسمى له تناسخاً .

كما أن اثبات ما دل عليه العقل والنقل من صفات الله عز وجل وحقائق أسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيباً وتجسيماً ...

وإنما التناسخ الباطل : ما تقوله أعداء الرسل ، من الملاحدة وغيرهم من الذين ينكرون الميعاد ، وأن الأرواح تصير بعد مفارقة الأبدان ، إلى أجناس الحيوانات والحشرات ، والطيور التى تناسبها وتشاكلها .

فإذا فارقت الأرواح أبدانها ، انتقلت إلى أبدان تلك الحيوانات فتنعم فيها أو تعذب ثم تفارقها ، وتحل فى أبدان أخر تناسبها وتناسب أعمالها وأخلاقها وهكذا ...

فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها ، لا معاد عندهم غير ذلك .

فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفقت عليه الرسل والأنبياء من أولهم إلى آخرهم ، وهو كفر بالله وباليوم الأخر .

ثم يعقب ابن القيم رحمه الله بقوله فى المسألة ، فيقول : الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم تفاوت :

فمنها أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى : وهى أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم ، وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآها النبى ﷺ ، ليلة الأسراء والمعراج .

ومنها : أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت وهى أرواح بعض الشهداء ، لا جميعهم ، بل أن من الشهداء من تحبس روحه عن

دخول الجنة ، لدين عليه أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش : أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله إن قتلت فى سبيل الله ؟ قال : « الجنة » **فلما ولىَّ قال : « إلا الذى سارنى به جبريل آنفاً »** .

ومنهم من يكون محبوساً فى قبره ، كحديث صاحب الشملة التى غلها ثم استشهد ، فقال الناس هنيئاً له الجنة ، فقال النبى ﷺ : « **والذى نفسى بيده ، إن الشملة التى غلها لتشتعل عليه ناراً فى قبره** »(٣) .

ومنهم من يكون مقره : باب الجنة .. كما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « **الشهداء على بارقة نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية** »(٤) .

وهذا بخلاف جعفر بن أبى طالب ، حيث أبدلـه الله من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء .

ومنهم : من يكون محبوساً فى الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى فإنها كانت روح سفلية أرضية .

ومنها : أرواح تكون فى تنور الزناة والزوانى .. وأرواح فى نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة ...

فليس للأرواح سعيدها وشقيها ، مستقر واحد بل روح فى أعلى عليين ، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض ...(٥) .

---

(٣) رواه الإمام مسلم ج ١ ص ٧٦ .
(٤) رواه الإمام أحمد .
(٥) كتاب الروح للإمام ابن القيم - بتصرف .

مستقر الأرواح فى البرزخ
ومنازلها فى هذا المستقر

إن الذى قال به الإمام بن القيم رحمه الله ، هو الحق ، وعلى أساسه نرى : أنه ليس للأرواح بعد الموت مستقر واحد .. بل لها فى البرزخ مستقرات متعددة ، لأنها ليست على شاكلة واحدة .. ولكنها طوائف متعددة ، يحكمها قربها من الله سبحانه وتعالى وبعدها عن الإيمان به ، وعن صراطه المستقيم .

ولكل طائفة منها مستقر ، ولكل روح فى ذلك المستقر منزلة منفردة ، وعلى هذا الأساس فمستقر الأرواح على سبعة أنواع ، وللأرواح فيها ملايين المنازل :

أولها : أرواح مستقرها السموات العُلى

وهذا مستقر أرواح الأنبياء والمرسلين ، وهذه الطائفة التى اصطفاها الحق سبحانه وتعالى من خلقه ليست على منزلة واحدة فى ذلك المستقر ولكنها متفاوتة المنازل ، كما راها سيدنا رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج .

ففى حديث الإسراء والمعراج الطويل الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه عن رسول الله ﷺ « ..... **فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ... قيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجىء جاء ... فأتيت آدم وسلمت عليه فقال : مرحباً بك من ابن ونبى ... ، فأتيت السماء الثانية ، .... ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، وقيل ومن**

معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ، ... ، فأتيت عيسى ويحيى ، فقالا : مرحباً بك من أخ ونبى ، فأتيت السماء الثالثة .... ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ... ، فأتيت يوسف فسلمت عليه ، قال : مرحباً بك من أخ ونبى ، ... ، فأتينا السماء الرابعة ... ، قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ... ، فأتيت ادريس فسلمت عليه ، قال : مرحباً بك من أخ ونبى ،... ، فأتينا السماء الخامسة ، قيل : من هذا ؟ قال : محمد قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ولنعم المجيء ، فأتيت هارون فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من أخ ونبى ، ... ، فأتينا السماء السادسة ...، قيل : من هذا ، قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ... ، وقد أرسل إليك ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على موسى فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من أخ ونبى ، فلما جاوزت بكى ، فقيل : ما أبكاك ؟ قال : يارب هذا الغلام الذى بعث بعدى يدخل من أمته الجنة أفضل مما يدخل من أمتى ،... ، فأتينا السماء السابعة ... ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أُرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء ، ... ، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من ابن ونبى .... »الحديث

وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ « .... ثم صعدنا السماء الثانية ... ، ورأيت فيها شابين متشابهين فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : أحدهما يحيى بن زكريا والآخر عيسى بن مريم عليهما السلام .... ، ثم صعدنا السماء الثالثة .... ، ورأيت فيهما شيخاً وشاباً فقلت من هذا يا جبريل ؟ فقال : داود وسليمان عليهما السلام ... ،

ونظرت فإذا بينهما غلام جالس على كرسى من نور وقد أشرق النور من وجهه ، وصورته كالقمر ليلة البدر ، فقلت : من هذا الشاب يا أخى يا جبريل ؟ قال : هذا يوسف بن يعقوب - فضله الله بالحسن والجمال .... ، ثم صعدنا إلى السماء الرابعة .... ، ورأيت رجلا على وجهه نور ساطع وله قلب خاشع ، فقلت : من هذا يا أخى يا جبريل ؟ قال هذا أخوك أدريس رفعه الله مكاناً علياً ، فإذا أنا برجل صبيح الوجه غزير العقل ، فلما رآنى ضحك مبتسماً فقلت : يا أخى ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم الخليل .... ، ثم ارتقينا إلى السماء الخامسة ... ، ثم ارتقينا إلى السماء السادسة ، ورأيت رجلاً كهلاً كثير الشعر عليه سدرعة من صوف أبيض يتوكأ على عصا يكاد شعره يغطى جسده له لحية بيضاء على صدره ، فقلت : من هذا يا أخى يا جبريل؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران ، فضله الله بكلامه وجعله كليما له .... ، ثم ارتقينا إلى السماء السابعة ... ، فإذا أنا بشيخ حسن الوجه حسن الثياب ، جالس على كرسى من نور مسند ظهره إلى البيت المعمور ، وهو تلقاء الكعبة شرفها الله تعالى .

قلت يأأخى ياجبريل من هذا ؟ قال : أبوك آدم صلوات الله عليه وسلامه ... » الحديث .

ومن هنا ترى أن أول مستقر للأرواح هى السموات العلى ، ولقد جعلها الحق سبحانه وتعالى ، مستقراً لأرواح الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأذكى التسليم .

وهذه الأرواح الطاهرة الزكية حرة طليقة تسبح فى ملكوت الله عز وجل وإذا كان مستقرها السموات العلى فإن لكل منها منزلة خاصة بها ومنفرد بها .

كما أن هذه الأرواح الكريمة على الله عز وجل وإن كانت فى هذا المستقر الرفيع وفى منازلها العظيمة ، فإن لها إشراف على قبورها فى الأرض ، وترد السلام على من يسلم عليها وقد ثبت ذلك بأحاديث سيدنا رسول الله ﷺ .

وثانيها : أرواح مستقرها فى الجنة وعلى أبوابها

وهذا هو المستقر الثانى للأرواح ، وهو مستقر أرواح الصديقين والصديقات والسابقين والسابقات وأصحاب اليمين وبعض الشهداء وأولياء الله الصالحين .

وهؤلاء رضوان الله عليهم جعل لهم الحق سبحانه وتعالى مستقرهم الجنة ولهم ألاف المنازل فيها .

قال تعالى : ﴿ **والسابقون السابقون ، أولئك المقربون فى جنات النعيم** ﴾[٦] وقال تعالى : ﴿ **فأما إن كان من المقربين ، فروح وريحان ، وجنة نعيم** ﴾[٧] وقال تعالى : ﴿ **وأصحاب اليمين ، ما أصحاب اليمين ، فى سدر مخضوض ، وطلح منضود وظل ممدود ، وماء مسكوب ، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة** ﴾[٨] وقال تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون** ﴾ .

وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **ان نسمة المؤمن طائر تعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى حياة يوم يبعثه** »[٩] .

---

(٦) سورة الواقعة الآيات : ١٠ - ١١ .
(٧) سورة الواقعة الآيات : ٨٨ ، ٨٩ .
(٨) سورة الواقعة الآيات : ٢٧ : ٣٨ .
(٩) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما أصيب إخوانكم – يعنى يوم أحد – جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، مدلاة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم ، قالوا : من يبلغ عنا إخواننا أنا أحياء فى الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ، ولا يزهدوا فى الجهاد ؟**

فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾(١٠) .

وروى الإمام البخارى عن أنس أن أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة ، أتت النبى ﷺ فقالت : يانبى الله الا تحدثنى عن حارثة ؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب . فإن كان فى الجنة صبرت عليه وإن كان فى غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء ، قال : « **يأم حارثة ، إنها جنان وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى** » .

فهذه الآيات الكريمة وأحاديث سيدنا رسول الله ﷺ قد دلت دلالة صريحة أن هذه الأرواح فى ذلك المستقر وأن لها منازلها المتعددة .

وإذا كانت هذه الطوائف من الأرواح قد استحقت دخول الجنة فى المرحلة البرزخية فدخلتها وكانت لها منازلها فيها فإن هناك طائفة أخرى من الأرواح قد جعل الله سبحانه وتعالى مستقرها أبواب الجنة ينعمون بنعيمها ويخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **الشهداء على بارقة نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً** » .

---

(١٠) رواه الإمام أحمد .

وثالثها : أرواح مستقرها فى روضة من رياض الجنة وهى فى القبر

وهذا هو المستقر الثالث للأرواح ، وإن كانت فى القبر إلا أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الله هذا القبر عليها روضة من رياض الجنة وهو مستقر طائفة أخرى من المؤمنين ، يأتيهم من روحها ونعيمها إلى يوم يبعثون .

يقول سيدنا رسول الله ﷺ : « **القبر إما روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار** » .

وفى حديث البراء بن عازب الطويل – وقد تقدم ذكره[11] – فبعد أن يسأل الميت فى قبره فإن كان مؤمناً ينادى مناد من السماء « **أن صدق عبدى أفرشوا له فى الجنة ، والبسوه من الجنة ، وافتحو له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له قبره مد بصره ....** »[12] الحديث .

وفى رواية أخرى : « **ثم يفتح له باباً من الجنة فينظر إلى مقعده ومنزله منها حتى تقوم الساعة** » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **إن المؤمن فى قبره لفى روضة خضراء ، فيرحب له قبره سبعون زراعاً وينور له فيه كالقمر ليلة البدر** »[13] .

---

(١١) ذكر الحديث بطوله. (١٢) رواه الإمام أحمد .

(١٣) رواه أبو يعلى بن حبان فى صحيحه .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **ان أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغدات والعشى ، إن كان من أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** »(١٤) .

وعن قتادة عن أنس رضى الله عنهما ، أن النبى ﷺ قال : « **ان الميت إذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه ، انه ليسمع خفق نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، قال : فيقولان : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، قال رسول الله ﷺ فيراهما جميعا ، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره سبعون زراعاً ، يملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون** »(١٥) .

---

(١٤) رواه الإمامين البخارى ومسلم .

(١٥) رواه الإمامين البخارى ومسلم .

ورابعها : أرواح رهينة القبر

وهذا هو المستقر الرابع للأرواح ، فهناك أرواح مستقرها القبر ، حبيسة فيه حبسا مؤقتاً، تلقى فيه من العذاب بقدر ذنوبها ، ثم يفرج عنها العذاب .

فهى رهينة القبر يشتعل عليها ناراً ، كصاحب الشملة التى غلها ثم استشهد فقال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال النبى ﷺ : « **والذى نفسى بيده أن الشملة التى غلها لتشتعل عليه ناراً فى قبره** » .

فهذا شهيد ولكنه مذنب ، فالشهادة فى نظرنا لا تتحقق إلا بالسلامة من الذنوب وإخلاص النية لله عز وجل ، وعلى قدر السلامة وإخلاص النية تكون درجة الشهيد .

ولذا ترى أن هناك شهداء أرواحهم فى حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش هى لها كالأوكار للطائر ، وقد سبقت هذه الأرواح وارتقت عليها فى المنزلة روح جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه المسمى . بجعفر الطيار حيث جعل الله سبحانه وتعالى له أجنحة يطير بها حيث يشاء فى الجنة . ثم هناك أرواح فريق آخر من الشهداء ببارقة نهر بباب الجنة .

وهذا مقياس لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، فرغم أن هذا المرهون فى قبره شهيد فى ميدان القتال إلا أنه معذب فى قبره ، ولم ترفع روحه ولم ترق إلى مراتب الشهداء ، ولم ترق روحه إلى النعيم الذى تصل إليه أرواح الشهداء .

فالروح المؤمنة المذنبة ، تحبس فى القبر وتعذب فيه مدة معينة يقدرها الحق سبحانه وتعالى ، بقدر ذنوبه ثم يعفو عنه .

وذلك قياساً على أنه يعذب يوم القيامة ثم يعفى عنه بالشفاعة ثم يدخله الله الجنة برحمته التى وسعت كل شىء .

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله : أن عذاب القبر قد يكون منقطع بعد مدة وهو عذاب بعض العصاه الذين خفت جرائمهم ، فيعذب بحسب جرمه ، ثم يخفف عنه ، كما يعذب فى النار مدة ثم يزول عنه العذاب .

وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من أقاربه أو غيرهم .

واستشهد فى ذلك بحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** »(١٦) .

وكذلك حديث حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : سأل رجل على عهد رسول الله ﷺ ، فأمسك القوم ، ثم أن رجلاً أعطاه ، فأعطى القوم ، فقال رسول الله ﷺ : « **من سنَّ خيراً فأستنَّ به كان له أجره ومن أجور من تبعه غير منتقص من أجورهم شيئاً ، ومن سنَّ شراً فاستن به ، كان عليه وزره ومن أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئاً** »(١٧) .

فأعمال الإنسان الصالحة التى قدمها فى حياته تجرى عليه حسناته منها ما دام الناس ينتفعون بها أو يعملون بها ، فيخفف الله عنه بقدر هذه الحسنات أو ينقطع عنه العذاب فى القبر بفضل هذه الحسنات .

وهذا المستقر هو مستقر الذين خلطوا عملاً صالحاً بآخر سيئاً ، ولهم فيه آلاف المنازل .

---

(١٦) أخرجه الإمام مسلم .　　(١٧) أخرجه الإمام أحمد .

وخامسها : أرواح فى حفرة من حفر النار فى قبرها

وهذا هو المستقر الخامس للأرواح، فهناك أرواح مستقرها القبر فى حفرة من حفر النار .

وهذا مستقر العصاة ومرتكبى الكبائر ، فأرواحهم رهينة القبر فى عذاب مستمر إلى يوم القيامة .

فالزناة والزانيات فى تنور يشتعل عليهم ناراً هذه طائفة وطائفة أخرى منهم تأكل لحماً خبيثاً منتناً ، والنساء منهن معلقات بثديهن .

وأكلة الربا : يسبحون فى نهر الدم يلقمون الحجارة ، وطائفة أخرى منهم بطونهم أمثال البيوت لا يستطيعون النهوض يقولون : رب لا تقم الساعة ، لأن ما هم فيه من العذاب قبسة يسيره من عذاب جهنم .

والذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً : لهم شافر كمشافر الأبل فيلقمون الجمر ثم يخرج من أسافلهم وهم فى استغاثات مستمرة .

وأصناف العذاب لهؤلاء العصاة كثيرة وقد أوردنا بعضا منها عند الحديث عن ألوان من عذاب القبر(١٨) .

فإذا كان مستقر هذه الطائفة القبر فى حفرة من حفر النار إلا أن لكل منها منزلة منفردة بها وخاصة بها ولها ولون مستقل من العذاب .

(١٨) راجع ص

وسادسها : أرواح مستقرها النار

وهذا هو المستقر الأخير للأرواح ، فهناك أرواح مستقرها فى سجين وما أدراك ما سجين ، يعرضون على النار بالغداة والعشى .

وهذا مستقر أرواح الكفار والفجار والفاسقين ...

فلما كان هناك أرواح قد دخلت الجنة – تتبوأ منها حيث تشاء فى البرزخية ، وقبل يوم القيامة – وكما ذكرنا آنفاً – وذلك لأنهم استحقوا دخولها يوم القيامة بغير حساب ، فدخلتها أرواحهم من الآن .

فكذلك أرواح الكفار الذين استحقوا أن يدخلوا النار يوم القيامة وبغير حساب – فإن أرواحهم قد دخلتها من الآن .

قال تعالى : ﴿ **النار يعرضون عليها غدوا وعشياً** ﴾ وقال تعالى فى موضع آخر : ﴿ **وأما إن كان من المكذبين الضالين ، فنزل من حميم ، وتصلية جحيم** ﴾ . وهم فى عذاب النار إلى يوم يبعثون ، بحسب دركاتهم .

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله فى كتابه الروح حديثا عن أم كيشة بنت المعرور قالت : دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسألناه عن هذه الأرواح ؟ فوصفها صفة أبكى أهل البيت ، فقال : « **إن أرواح المؤمنين فى حواصل طير خضر ترعى فى الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتشرب من مائها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب تحت العرش ، يقولون : ربنا ألحق بنا إخواناً وأتنا ما وعدتنا ، وأن أرواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار ، وتشرب**

---

(١٩) سورة غافر الآية : ٤٦ .

من النار ، وتأوى إلى حجر فى النار ، يقولون : ربنا لا تلحق بنا إخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا » .

فأرواح الكفار والفجار فى النار يصلون الجحيم ويسقون من حميم وغساق وهى فى حواصل طير سود تأكل من النار ، وتأوى إلى حجر فى النار .

وإذا كان مستقر هؤلاء النار فإن لكل طائفة من هؤلاء منزلة منفردة بها وخاصة لها ولون من ألوان العذاب غير الذى تلاقيه الطوائف الأخرى .

ومن هنا ترى أنه ليس للأرواح فى المرحلة البرزخية مستقر واحد ، بل أن لها عدة مستقرات – كما رأينا – ولها الآلاف بل الملايين من المنازل والمراتب داخل هذه المستقرات .

« خاتمة »

قلنا فى مقدمة هذا الكتاب أن الحق سبحانه وتعالى ما خلق الخلق إلا لعبادته وتوحيده قال تعالى : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ .

وعرفنا أننا مسافرون إليه سبحانه وتعالى بل كلنا يؤمن أن الموت حق وأن القبر حق وأن منكر ونكير حق وأن عذاب القبر حق كما أن البعث والنشور حق والحساب حق والجنة والنار حق .

وتتبعنا معاً خطوات هذه الرحلة الغيبية، وعرفنا ما يعانيه الإنسان فى موته وما يلاقيه فى نزعة الأخير ، وكيف أن الأعمال الصالحة تفيد صاحبها فى هذه اللحظات المضنية الرهيبة تبيض فيها وتسود فيها وجوه إنها ساعة الرحيل من عالم الشهادة إلى أول منزل من منازل الأخرة .

وعرفنا أن فى تلك الساعة تتنزل الملائكة من السماء يحملون إلى الإنسان البشرى فإن كان من أصحاب اليمين فيقولون له سلام لك من أصحاب اليمين ، هذه هى البشرى الطيبة تحملها إليه ملائكة الرحمة ، إنهم يقفون بجانبه فى هذه اللحظات يواسونه ويقدمون له كل ما تطمئن به نفسه وتقربه عينه حتى يرى مقعده من الجنة فيناله الفرح والسرور ويشرق وجهه بالنور .

وأما إن كان من أصحاب الشمال : فإن ملائكة العذاب يحملون إليه البشرى السيئة فيقولون له أبشر بالذى يسؤك ويبشرونه بسخط من الله وغضب ليس ذلك فقط بل أن ملائكة العذاب يستعجلون الأمانة ويكرهون

روحه على الخروج فيضربون منه الوجه والأدبار وينزعون روحه كما ينزع المشط الحديد من الصوف المبلول ، وهذا كناية عن الروح وإخراجها بالإكراه معذبة مهلهلة .

ثم ناهيك عما يلاقيه هذا المذنب من العذاب فتراه مسود الوجه زائغ البصر له ذبد من شدقيه وله خوار كخوار الحمار ، انها فضيحة له أمام الناس وأمام أهله الحاضرين وفاته ، حتى أنهم لا يبكون مخافة فراقه ولكنهم يبكون اشفاقاً عليه مما هو فيه من العذاب ، ويتضرعون وأكفهم إلى السماء إنهم لا يطلبون له من الله عز وجل . البقاء وطول العمر ، ولكنهم يضرغون إليه سبحانه وتعالى كى يعجل الإماتة ويعجل بخروج روحه .

لقد اتفقت ضراعتهم إلى الله سبحانه وتعالى وما تفعله ملائكة العذاب مع روحه كل منهم يستعجل الإماته .

ورأيت معى القبر وما فيه ... وسمعته معى وهو ينادى أنا بيت الوحدة ، أنا بيت الغربة ، أنا بيت الضيق إلا من وسعنى الله عليه ، أنا بيت الوحشة أنا بيت الدود والصديد . إنها كلمات ينفطر لهولها أشد القلوب قسوة .

وسمعت معى منكراً ونكيراً هذان الملكان الأسودان الأزرقان بأنيابهم التى تجر على الأرض وهما يسألان الميت عن ربه ودينه ورسوله المبعوث إليه وعلمه .

وعلمت كيف أن الحق سبحانه وتعالى يثبت الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقول الثابت ويوفقهم إلى الجوانب الصحيح السليم .

وعلمت كيف أن الحق سبحانه وتعالى يترك العصاه لأنفسهم فيضلوا ولا يستطيعون الإجابة ويكون لهم من عذاب القبر .

ألم تر إلى الزناة وهم فى التنور يشتعل عليهم ناراً ، وإلى النساء وهن معلقات بثديهن ؟

ألم تنظر إلى الذين يأكلون الربا بطونهم أمثال البيوت لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس وغير ذلك من ألوان العذاب المتعدد ، كل بحسب معصيته وجرمه يلقى جزاؤه فى عذاب القبر ؟

والمؤمن بحسب إحسانه فيكون قدر ما هو فيه من النعيم ألم تنظر إلى تلك الأرواح الطاهرة الزكية التى تتبوأ من الجنة حيث تشاء ؟ وإلى تلك التى تأوى إلى قناديل معلقة بعرش الرحمن سبحانه وتعالى هى لها كالأوكار للطائر ، وإلى تلك الأرواح التى تقيم ببارقة نهر بباب الجنة يخرج عليها رزقها من الجنة بكرة وعشياً .

ألم تنظر إلى هذه الأرواح الكريمة التى أقامها الرحمن سبحانه وتعالى فى قبرها فى روضة من رياض الجنة تتنعم فيها تنعيم الجنة .

فإن كنت سمعت ورأيت مثلى كل هذا ، فهل آن الأوان لأن ترجع إلى الله سبحانه وتعالى وتتوب إليه توبة نصوحا وتقدم لنفسك من الأعمال الصالحة ما يكون لك زخراً فى يوم السفر ويكون لك فرجاً ومخرجاً وزادا فى هذه الرحلة الطويلة الشاقة ؟

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى وعلى الله قصد السبيل ،،،

تم بحمد الله وتوفيقه

القاهرة فى الثانى عشر من جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ
الموافق السادس من فبراير عام ١٩٨٨ م

مصطفى اللمعى

فهرس

الصفحة



- الموت عبرة وعظـــه
- سكرات الموت
- شدة الشيطان على المحتضر
- غسل الميت وكفنـــه
- الصلاة على الميت - حكمها - فضلها - شروطها
- حمل الجنـــازة
- صلاة الجنـــازة
- عذاب القبر ونعيمـــه
- وصف القـــبر
- زيارة القبـــورة
- البدع فى القبـــور
- الأسباب التى يتعذب بها أصحاب القبور
- الأعمال المنجية من عذاب القبر
- الأطفال وضغطة القبر
- منازل الأرواح
- الحياة البرزخيـــة

المختار الاسلامى